

مُتَقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ
يُضِلِّهِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد ؛ فَإِنَّ مِنْ مُحَاسِنِ تَوْفِيقِ اللَّهِ - تَعَالَى - أَنْ نَقْدِمَ لِلنَّاسِ - بِحَلَّةٍ
جَدِيدَةٍ، وَتَعْلِيقَاتٍ مُفِيدَةٍ - كِتَابَ «الْجِيلِ الْمَثَالِي» لِلْعَلَامَةِ السَّلَفِيِّ
الْشَيْخِ مُحَبِّ الدِّينِ الْخَطِيبِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي زَمَنِ قَوِيَتْ فِيهِ شَوْكَةُ الرُّوَافِضِ،
وظَهَرَتْ بِدْعُهُمْ، وَعَمَّتْ فَتَنُهُمْ.

وهذه الرسالة على وجازتها تأخذ أهميتها من ناحيتين اثنتين :

أولاهما : عظمة موضوعها، وجلالة قدرها ؛ لأنها تتكلم
عن الصحابة ؛ حماة الدين - بمنهجهم وعقيدتهم وفهمهم - ،
وحرّاس الشريعة، وأمانة الوحي.

ثانيهما : فتنة الطعن بأصحاب رسول الله ﷺ.

ومعلوم أنَّ مذهب الرفض (التشيّع) يقوم على أصول عديدة فاسدة، من أهمها؛ الطعن بأصحاب رسول الله ﷺ، واعتقاد ردّتهم بعد وفاته ﷺ.

وإن كان الروافض قد طعنوا بأصحاب رسول الله ﷺ جملةً وتفصيلاً، فإنَّ الطعن ببعضهم؛ كعواوية، وأبيه؛ أبي سفيان، وعمر بن العاص، وعثمان بن عفان الخليفة الراشد - رضي الله عنهم أجمعين - قد تسلل إلى بعض من ينسب إلى السنة، فتجاوزوا - بذلك - حداً ما كانوا ليتجاوزوه لو أنَّهم أتوا الأمر على وجهه، وجعلوا قلوبهم سليمة تجاه أصحاب رسول الله ﷺ، وقرأوا التاريخ قراءة متأنّ متجرّدٍ منصفٍ، وفهموا الوقائع والحوادث وفق فهم ومنهج السلف الصالح.

ومن أولئك الطاعنين سيد قطب، الذي طعن بالخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، في أنَّ حكمه كان مجافياً لروح الإسلام، فقال في «العدالة الاجتماعية» ص (١٦١):

«مضى عثمان إلى رحمة ربّه، وقد خلف الدولة الأموية قائمة بالفعل، بفضل ما مكّن لها في الأرض، وبخاصة في الشام، وبفضل ما مكّن للمبادئ الأموية، المجافية لروح الإسلام؛ من إقامة الملك

وقال - أيضاً - في «العدالة الاجتماعية» ص(١٥٩-١٦٠ ط: ١٢)
«ولقد كان الصحابة يرون هذا الانحراف عن روح الإسلام
فيتداعون إلى المدينة لإنقاذ الإسلام وإنقاذ الخليفة من المحنة، والخليفة
في كبرته وهرمه لا يملك أمره من مروان. وإنه لمن الصعب أن نتهم
روح الإسلام في نفس عثمان، ولكن من الصعب كذلك أن نغفیه من
الخطأ الذي هو خطأ المصادفة السيئة في ولايته الخلافة وهو شيخ
موهون تحيط به حاشية سوء من أمة».

وقال - أيضاً - في «العدالة الاجتماعية» ص(١٦٠-١٦١ ط: ١٢)
مقررًا أنَّ ثورة الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه وقتلوه كانت أقرب إلى
روح الإسلام من مواقف عثمان :
«وأخيراً ثارت الثائرة على عثمان، واختلط فيها الحقُّ بالباطل،
والخير بالشر، ولكن لا بدَّ لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام،
ويستشعر الأمور بروح الإسلام أن يقرّر: أنَّ تلك الثورة في عمومها
كانت أقرب إلى روح الإسلام واتجاهه من موقف عثمان، أو بالأدق
من موقف مروان ومن ورائه بنو أمة».

واعتبر خلافة عثمان رضي الله عنه فجوة في الخلافة الراشدة، فقال في
«العدالة الاجتماعية» ص(١٧٢ ط: ١٢):

«ونحن نميل إلى اعتبار خلافة علي عليه السلام امتداداً طبيعياً لخلافة
الشيخين قبله ، وأنَّ عهد عثمان الذي تحكم فيه مروان كان فجوةً
بينهما».

وطعن في معاوية عليه السلام وعمر بن العاص عليه السلام كما في كتابه
«كتب وشخصيات» ص (٢٤٢-٢٤٣) فقال :

«إنَّ معاوية وزميله عمرًا لم يغلبا علياً لأنهما أعرف منه بدخائل
النفوس ، وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب ، ولكن لأنهما
طليقان في استخدام كل سلاح ، وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل
الصراع ، وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة
والنفاق والرشوة وشراء الذمم لا يملك عليٌّ أن يتدلَّى إلى هذا الدرك
الأسفل ، فلا عجب ينجحان ويفشل ، وإنه لفشل أشرف من كل
نجاح»^(١).

ولقد أصبح من القواعد المقررة ، والأصول المحررة ، في منهج
السلف ؛ اعتقادُ عدالة الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - ،
وثبوت مناقبهم وفضائلهم ، وأحقية منهجهم بالزوم والاتباع.

(١) هذه النقول عن سيد قطب في طعنه على الصحابة تجدها وغيرها في كتاب العلامة الشيخ ربيع
ابن هادي المدخلي «مطاعن سيد قطب في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم» ، وكتابه «نظرة سيد قطب إلى
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وما تلك المصنفات العديدة، التي كُتبت بمدادِ أهل الحديث حول الصحابة وتواريخهم، وطبقاتهم، ومناقبهم، وسيرهم، إلا تطبيقاً عملياً لما جاء في كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة، من ثناءٍ عليهم، وتزكيةٍ لهم، وإلزامٍ لمنهجهم، الذي فيه العلم والحكمة وطريق النجاة.

ومن تلك المصنفات - على سبيل المثال لا الحصر -:

- كتاب «فضائل الصحابة» برقم (٦٢)، وكتاب «مناقب الأنصار» برقم (٦٣) من الصحيح للإمام البخاري (ت ٢٥٦).
- كتاب «فضائل الصحابة» برقم (٤٤) من الصحيح للإمام مسلم ابن الحجاج (ت ٢٦١)
- كتاب «المناقب» برقم (٤٦) من السنن للإمام الترمذي (ت ٢٧٩).
- «فضائل الصحابة» للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١).
- «فضائل عثمان رضي الله عنه»، لعبد الله بن الإمام أحمد (ت ٢٩٠).
- «فضائل الصحابة» للإمام الدارقطني (ت ٣٨٥).
- «فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم» للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد ابن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠).

- «فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه» لمحمد بن علي الحري العشاري (ت ٤٥١).
- «فضائل أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص» لابن عساكر (ت ٥٧١).
- «النهي عن سب الأصحاب» لمحمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣).
- «الرياض النضرة في مناقب العشرة» للمحب الطبري (ت ٦٩٤).
- «تحفة الصديق في فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه» لعلي بن بلبان (ت ٧٣٩).
- «الروض الأنيق في فضل الصديق» لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١).
- «الغرر في فضائل عمر» لجلال الدين السيوطي.
- «إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب» للمناوي (ت ١٠٣١).
- «محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» للإمام يوسف بن الحسن بن عبد الهادي الدمشقي المعروف بابن المبرد (ت ٩٠٩).
- «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» للحافظ يوسف بن عبد الله ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣).
- «الإصابة في معرفة الصحابة» للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢).

- «أسد الغابة في معرفة الصحابة» للإمام علي بن محمد الجزري الشهير بابن الأثير (ت ٦٣٠).
- «سيرة الخلفاء الراشدين» للإمام المؤرخ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨).

ومن جملة ما في كتاب الله - تعالى - من ثناء عطر على أصحاب رسول الله ﷺ قوله - تعالى - : ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَالرُّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [١٧٢] الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [١٧٢-١٧٣].

والمقصود بهذه الآية هم المهاجرون والأنصار الذين شهدوا أحداً كما ذكر المفسرون.

وقال - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال : ٧٤].

وقال - تعالى - : ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَٰئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [التوبة : ١٠٠].

وقال - تعالى :- ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَعَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [الفتح: ١٨-١٩].

وقال - تعالى :- ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧].

وقال - تعالى :- ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۚ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: ٢٩].

ومن جملة ما جاء من مناقبهم وفضائلهم في صحيح السنة النبوية :
 - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلی الله علیه و آله : « لا تسبوا أصحابي ؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ، ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه » .^(١)

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) في فضل أبي بكر الصديق ، ومسلم (٢٥٤١/٢٢٢) ،
 والترمذي (٣٨٦١) في المناقب ، وأبو داود (٤٦٥٨) ، وابن ماجه (١٦١) في السنة .

- وعن أبي بردة، عن أبيه أبي موسى الأشعري، قال: رفع النبي ﷺ رأسه إلى السماء - وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء - فقال: «النجوم أمانةٌ للسماء، فإذا ذهبَت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانةٌ لأصحابي، فإذا ذهبَتُ؛ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانةٌ لأمتي؛ فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»^(١).

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يأتي على الناس زمان، يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس، فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم»^(٢).

- وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم إنَّ بعدهم قوماً يشهدون ولا

(١) أخرجه مسلم (٢٥٣١/٢٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٧) في الجهاد، ومسلم (٢٥٣٢/٢٠٩) في المناقب، واللفظ له.

يُستشهدون، ويخونون ولا يُؤتمنون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن^(١).

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم؛ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»^(٢).

هذه بعض فضائل أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله بالجملة، أما فضائل كثير منهم على التفصيل كالخلفاء الأربعة، وسائر العشرة، وأهل بدر، وبيعة الشجرة، وأهل البيت، وغيرهم فكثيرة كثيرة، تطلب في مظانها من كتب السنة والفضائل.

إنّ تولي أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، ومحبتهم، والترضي عنهم، وكف اللسان عمّا شجر بينهم، وسلامة القلوب تجاههم، يعدّ من أصول منهج السلف الصالح، وسبب ذلك أنهم هم الذين نقلوا لنا الدين والسنن، مع ما كان معهم من العلم النافع، والعمل الصالح، والقيام بأمر الله، والاستجابة لرسول الله إذا دعاهم، والتضحية بالأرواح والأموال والأولاد في سبيل نصرته دعوة الله، فالطعن بهم

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥/٢١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣/٢١٢)، والترمذي (٣٨٥٩) في المناقب، وابن ماجه (٢٣٦٢) في الأحكام.

زندقة ، لما فيه من هدم للدين ، ورد للسنن .

ولهذا اعتنى أهل العلم بمسألة العقيدة الصحيحة في الصحابة ،
وأوردوها في كتبهم في العقيدة المسندة وغيرها كما فعل - على سبيل
المثال - :

- إمام أهل السنة أحمد بن حنبل (ت ٢٤١) في كتابه «أصول السنة» .
 - الحافظ أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧) في كتابه «السنة» .
 - الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠) في كتابه «الشريعة» .
 - الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي (ت ٤١٨) في كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» .
 - شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة (ت ٧٢٨) في «العقيدة الواسطية» ، وكثير من كتبه .
 - الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت ٣٢١) في عقيدته «الطحاوية» وشرحها النفيس لابن أبي العز الدمشقي (ت ٧٩٢) .
 - العلامة محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الكرمي الحنبلي (ت ١١٨٩) في كتابه «لوامع الأنوار البهية» .
 - الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي (ت ١٣٧٧) في كتابه «معارج القبول» ، و«أعلام السنة المنشورة» .
- وغیرها الكثير من كتب العقيدة الصافية الصحيحة .

ولقد توافرت النقول والآثار عن السلف ، الميَّنة لضرورة اقتفاء أثر الصحابة ، ولزوم منهجهم في فهم الدين وتطبيقه ، فمن تعدَّى منهجهم مجتهداً زلّ ، ومن تعدّاه عامداً ضلّ ، فمن ذلك :

قال ابن مسعود رضي الله عنه : «إن الله نظر في قلوب العباد ؛ فوجد قلب مُحَمَّد خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه ، وابتعثه برسالته ، ثُمَّ نظر في قلوب العباد بعد قلب مُحَمَّد صلّى الله عليه وآله فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه»^(١).

وقال أيضاً : «من كان متأسياً ؛ فليتأس بأصحاب مُحَمَّد صلّى الله عليه وآله ، فَإِنَّهُمْ كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالاً ، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه صلّى الله عليه وآله فاعرفوا لهم الفضل ، واتبعوهم في آثارهم ، فَإِنَّهُمْ كانوا على الهدى المستقيم»^(٢).

وقال الإمام أبو زرعة الرازي رحمته الله : «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن رسول الله صلّى الله عليه وآله عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنّما أدى إلينا هذا القرآن والسنة الصحابة ، وهؤلاء يريدون أن يُجرّحوا شهودنا ؛ ليبطلوا الكتاب

(١) أخرجه احمد (٣٧٩/١) ، و الآجُرِّي في الشريعة (٤/١٦٧٥) ورقمه (١١٤٤) وإسناده حسن .

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البرّ (٩٧/٢).

والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»^(١).

وقال الإمام الحسن بن علي البربهاري (ت ٣٢٩): «وإذا رأيت الرجل يطعن على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه صاحب قول سوء وهوى؛ لقول رسول الله ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»، قد علم النبي ﷺ ما يكون منهم من الزلل بعد موته، فلم يقل فيهم إلا خيراً»^(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨):
«ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله - تعالى - ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].
وطاعة النبي ﷺ في قوله: «لا تسبوا أصحابي، فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه».

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، فيفضلون من أنفق من قبل الفتح - وهو صلح الحديبية -

(١) الكفاية للخطيب البغدادي (ص ٩٧)، وتاريخ دمشق (٣٨/٣٢).

(٢) شرح السنة (ص ١٠٦)

وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر - وكانوا ثلاث مئة وبضعة عشر -: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي ﷺ، بل قد رضي الله عنهم، ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربع مئة.

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة؛ كالعشرة، وكثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة.

ويقرُّون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن غيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلاثون بعثمان، ويربِّعون بعليٍّ رضي الله عنهم كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة رضي الله عنهم على تقديم عثمان في البيعة، مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما - بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر - أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان وسكتوا، أو ربَّعوا بعلي، وقدم قوم علياً، وقوم توقفوا؛ لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول التي يضلُّل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن التي يُضللُّ فيها مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد

رسول الله أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله.

ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدير خم: «أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي»، وقال أيضا للعباس عمه - وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفون بني هاشم - فقال: «والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرايتي» وقال: «إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة، خصوصاً خديجة عليها السلام أم أكثر أولاده، وأول من آمن به، وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، والصديقة بنت الصديق عليها السلام التي قال فيها النبي ﷺ: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

ويتبرءون من طريقة الروافض، الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم، ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو

عمل ، ويمسكون عما شجر بين الصحابة ، ويقولون : إِنَّ هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب ، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه ، والصحيح منه هم فيه معذرون ؛ إما مجتهدون مصيبون ، وإما مجتهدون مخطئون ، وهم مع ذلك لا يعتقدون أَنَّ كلَّ واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره ، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم - إن صدر - حتى إنه يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم ؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم ، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون ، وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم ، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه ، أو أتى بحسنات تحوه ، أو غفر له بفضل سابقته ، أو بشفاعه محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته ، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه .

فإذا كان هذا في الذنوب المحققة ، فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد ، والخطأ مغفور لهم ؟ ! ثم إنَّ القدر الذي يُنكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم ؛ من الإيمان بالله

ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح، ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما من الله به عليهم من الفضائل، علم يقينا أنَّهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنَّهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم، وأكرمها على الله»^(١).

وقد كان عملي في هذا الكتاب يتلخص كالتالي :

- ١- وضعت مقدمة مختصرة للكتاب بينت فيها أهمية الكتاب، وبعض فضائل أصحاب رسول الله، وعقيدة السلف فيهم، وضرورة لزوم منهجهم.
- ٢- ضبطت جميع الكتاب وفق ما تقتضيه اللغة من قواعد.
- ٣- خرجت الأحاديث النبوية الشريفة على وجه الاختصار.
- ٤- ترجمت لبعض الأعلام ممن وجدت حاجة لترجمته.
- ٥- علقت على مواضع معينة في الكتاب استلزم التعليق عليها.
- ٦- فسرت بعض غريب الألفاظ.
- ٧- ميّزت التعليقات المثبتة على الطبعة السلفية سنة ١٣٩٣ هـ، والتي اعتمدت عليها في إخراج الكتاب بحرف (س)، وهي ثلاثة تعليقات فقط.
- ٨- ترجمت للمؤلف بترجمة مختصرة في مطلع الكتاب.

(١) «العقيدة الواسطية» بشرح الشيخ محمد خليل هراس رَحِمَهُ اللهُ (ص ٢٣٦-٢٥٠).

والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفعني
به يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد ،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

أبو عبد الرحمن

رائد بن عبد الجبار بن خضر المهداوي

صباح الأحد ٨ / جمادى الآخرة / ١٤٢٨ هـ

الموافق : ٢٤ / حزيران / ٢٠٠٧ م

رام الله - فلسطين

البريد الإلكتروني :

Mehdawi1427@hotmail.com

ترجمة الشيخ العلامة السلفي محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللهُ

اسمه ونسبه :

هو محب الدين بن أبي الفتح بن عبدالقادر بن صالح بن عبد الرحيم بن محمد الخطيب. أصل أسرته من بغداد من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني. هاجرت أسرته إلى دمشق في بلاد الشام.

ولادته وأسرته :

ولد العلامة محب الدين الخطيب في دمشق (سنة ١٣٠٣هـ - ١٨٨٦م). والده: الشيخ أبو الفتح الخطيب من رجالات دمشق، كان أمين دار الكتب الظاهرية، تولّى التدريس والوعظ في الجامع الأموي، وله عدّة مصنفات منها: (مختصر تاريخ ابن عساكر)، و(مختصر تيسير الطالب).

توفيت والدته وهي في رحلة الحج وهو مازال صغيراً في حجرها. وألحقه والده وهو في السابعة بمدرسة الترقّي النموذجيّة، وحصل منها على شهادة إتمام المرحلة الابتدائيّة بدرجة جيد جداً، ثمّ التحق بمدرسة مكتب عنبر، وبعد سنة توفي والده.

طلبه للعلم ورحلاته :

بعد وفاة والده رأت أسرته أن يترك المدارس النظامية، ويلزم العلماء ويستفيد منهم.

اعتنى به الشيخ طاهر الجزائري ، ووجهه نحو كتب شيخ الإسلام المخطوطة لينسخها ، ونصحه بإكمال دراسته النظامية في مدرسة عنبر. واستفاد من العلماء : أحمد النويلاتي ، وجمال الدين القاسمي ، ومحمد علي مسلم ، إضافة إلى مطالعته في مكتبة الظاهرية بدمشق.

بعد أن أنهى الثانوية في بيروت ، ارتحل إلى عاصمة الخلافة الآستانة ، ودرس في كليتي الآداب والحقوق ، واتصل بالأديب الكبير محمد كرد علي ، وأسس (جمعية النهضة العربية) التي كان من أهدافها تعليم الطلبة العرب لغتهم الأم ؛ العربية ، لما رأى منهم من رطانة تركية ، وجهل بقواعد العربية.

بعد ثورة الأتراك الإتحاديين على الخلافة العثمانية اشتدت رقابتهم على الشيخ وجمعياته فغادر إلى دمشق بعد اتمام السنة الثالثة من الدراسة.

ارتحل إلى اليمن ، وعمل بها ، وأثناء ذلك مر بمصر ، والتقى بشيخه العلامة طاهر الجزائري ، وبصديقه الأديب البارع محمد كرد علي. وعندما قامت الحرب الكونية الأولى ، وأعلنت الثورة العربية الكبرى طلبه الشريف الحسين بن علي برقياً فسافر إلى مكة فأسس المطبعة الأميرية ، وأصدر جريدة «القبلة» الناطقة باسم حكومة الحجاز ، وكان الشريف حسين يستشيريه في كثير من الأمور الخارجية مع الشيخ كامل القصاب.

ولما دخل العرب دمشق عام (١٩١٨م) بقيادة الأمير فيصل عاد الشيخ محب الدين الخطيب ، وأنيط به إدارة وتحرير الجريدة الرسميّة للحكومة باسم «العاصمة».

ولما دخل الفرنسيون عام ١٩٢٠م دمشق غادر الشيخ محب الدين إلى مصر واستقرّ في القاهرة ، حيث عمل في تحرير جريدة «الأهرام» خمس سنوات ، وهناك أسس المكتبة السلفيّة ومطبعتها ، حيث قام بطباعة الكتب السلفيّة ، ونشر كثيراً منها ، وأصدر «مجلة الزهراء» ، وهي مجلة أدبيّة اجتماعيّة دامت خمس سنين ، ثمّ أسس جريدة «الفتح» ، ثمّ تولّى تحرير مجلة «الأزهر» ست سنوات ، ثمّ ساهم في إنشاء (جمعية الشبان المسلمين) في القاهرة.

جهوده في نشر عقيدة السلف الصالح :

- ١ - نشر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٢ - دفاعه عن الصحابة ورد الشبهات عنهم ويتجلى ذلك في نشره كتاب «العواصم من القواصم» هذا الكتاب الذي فند كثيراً من الروايات الساقطة التي اخترعها الكذابون فيما حصل بين الصحابة ، وكذلك كتابه «مع الرعيل الأول» ، وكتابه «الجيل المثالي».

٣- نشره أعظم كتاب خدم السنة المطهرة وهو فتح الباري مع تعليقات الإمام ابن باز.

٤- تواصله مع العلماء والدعاة السلفيين وتشجيعهم ، ومن ذلك رسالته للشيخ الإمام الألباني كما في مقدمة «آداب الزفاف».

٥- فضح الروافض والوقوف أمام الدعوى الزائفة التي قام بها الروافض للتقريب مع أهل السنة ، وتلقّفها أصحاب الدعوات البعيدة عن الكتاب والسنة بفهم السلف كالإخوان المسلمين في مصر. وفاته :

بعد ثلاث وثمانين سنة قضاها في البحث ، والتحرير ، والتأليف ، والدفاع عن الإسلام ضد المستشرقين ، والمبشرين ، والروافض ، والعلمانيين توفي العلامة السلفي محب الدين الخطيب في كانون الأول عام ١٩٦٩م. آثاره العلميّة :

- ١- «توضيح الجامع الصحيح للإمام البخاري». شرح صغير.
- ٢- «الحديقة» - ١٤ جزء - مجموعة أدبيّة وحكم.
- ٣- «الخطوط العريضة التي قام عليها دين الشيعة الإثني عشرية».
- ٤- «مع الرعيل الأول». عرض وتحليل لحياة الرسول مع أصحابه.

- ٥ - « من الإسلام إلى الإيمان ». حقائق عن الفرقة الصوفيّة التيجانيّة.
- ٦ - « حملة رسالة الإسلام الأولون ».
- ٧ - « الإسلام دعوة الحقّ والخير ».
- ٨ - « ذو النورين عثمان بن عفان ».
- ٩ - « الجيل المثالي » وهو هذا الكتاب الذي نقدم له..
- ١٠ - « مراسلات بينه وبين الأمير شكيب أرسلان » بلغت ألف رسالة.

مصادر ترجمته :

- ١ - « الأعلام » خير الدين الزركلي (٢٨٢/٥).
- ٢ - « تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري » فكري فيصل دمشق - ١٩٨٦ ، (٢/٨٤٧ - ٨٦٢).
- ٣ - « شبكة مستقبل الإسلام » على شبكة المعلومات الدولية.

الجيلُ التالي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِنْ أَيَّامِ أَفْلَاطُونَ (٤٣٠-٣٤٨ ق.م) وَكِتَابِهِ «الْجُمْهُورِيَّةُ»، ثُمَّ مِنْ
عَصْرِ أَبِي نَصْرِ الْفَارَابِيِّ (٢٦٠-٣٣٩ هـ) وَكِتَابِهِ «الْمَدِينَةُ الْفَاضِلَةُ»، إِلَى
زَمَنِ السَّرِ توماس مور Tomas More (١٤٧٨-١٥٣٥ م) وَكِتَابِهِ
«يوتوبيا» Utopia

مِنْ تِلْكَ الْعُصُورِ وَالْأَزْمَانِ - إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا -
وَالْإِنْسَانِيَّةُ تَحْلُمُ بِالْجِيلِ الْمَثَالِيِّ الَّذِي يَوَدُّ الْبَشَرُ لَوْ يَظْفَرُونَ بِهِ
فَيَتَّخِذُونَهُ قُدْوَةً لَهُمْ فِي السَّلَامِ وَالْحَرْبِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، فِي
مُخْتَلَفِ أَطْوَارِ الْحَيَاةِ؛ لِيَكُونَ لَهُمْ مِنْ كَمَالِهِ الْإِمْكَانِيُّ الْمَثَلُ
الْمُقْتَدَى بِهِ فِي كَمَالِهِمُ الْإِنْسَانِيُّ.

هِيَ أُمْنِيَّةٌ مِنْ أَمَانِيِّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ، مِنْ أَقْدَمِ الْأَزْمَانِ
إِلَى الْآنَ، تَحَدَّثَ عَنْهَا الْحُكَمَاءُ، وَتَغْنَى بِهَا الشُّعْرَاءُ، وَتَرْتَّمُ بِهَا
رَخِيمُ أَصْوَاتِ الْهَاتِفِينَ، وَهَمَسَ بِهَا صَفْوَةُ الضَّارِعِينَ وَالْمُنَاجِينَ،
مِنْ كُلِّ صَادِحٍ أَوْ بَاغِمٍ^(١).

(١) الصادح: من يرفع صوته بالغناء وغيره، والباغم: من يتحدث بصوت رخيم. انظر «لسان
العرب» لابن منظور (٢٩٦/٧) و(٤٥٥/١) ط: دار إحياء التراث العربي.

بَلْ إِنَّ «الْجِيلَ الْمِثَالِيَّ» هُوَ الَّذِي دَعَا إِلَى تَكْوِينِهِ وَعَمَلٍ
عَلَى تَحْقِيقِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ أُوْلِي الْعِزْمِ^(١)، وَهُوَ الَّذِي تَمَنَّاهُ الْحُكَمَاءُ
وَأَهْلُ الْعِلْمِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَتْ الْإِنْسَانِيَّةُ - وَلَا تَزَالُ - تَرْنُو إِلَى
شَبَحِهِ الْمَرْجَى فِي أَحْلَامٍ يَقْظَاتِهَا، وَفَتَرَاتِ غَفَوَاتِهَا.

(١) اختلف المفسرون في تحديد أولي العزم من الرسل على أقوال عشرة ذكرها ابن الجوزي في
«زاد المسير» (١٨٣/٧ ط: العلمية)، والبعوي في «معالم التنزيل» (١٥٩/٤ ط: العلمية)، وأشهر
هذه الأقوال أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ. وهو مروي عن ابن
عباس، وبه قال مجاهد، وقتادة، وعطاء الخراساني.

قال البعوي: «ذكرهم الله على التخصيص في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ
وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]، وفي قوله - تعالى -:
﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى
وعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]» ١. هـ

قال ابن كثير في «تفسيره» (٥٦/١٣ ط: مكتبة أولاد الشيخ): «وقد يحتمل أن يكون المراد بأولي
العزم جميع الرسل، وتكون "من" في قوله: ﴿مِنْ الرُّسُلِ﴾ لبيان الجنس» ١. هـ
وانظر: «تفسير الطبري» (٤٥/٢٦ ط: دار إحياء التراث)، و«تفسير القرطبي» (٢٣٦-٢٣٣/١٩ ط: الرسالة)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (ص ١٧١٦ ط: دار ابن حزم) عند الآية ٣٥ من سورة
الأحقاف.

تَرِثَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْمِهِ فِي آفَاقِ الْعَرِيشِ وَبَرِيَّةِ سِينَاءَ
وَصَحَارَى الثُّقَبِ وَحَوَالِي بَثْرِ سَبْعِ أَرْبَعِينَ حَوْلًا، يَلْتَحِفُ مَعَهُمْ
سَحَابُ السَّمَاءِ، وَيَفْتَرِشُ الْغُبَاءُ، وَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يُرَبِّي مِنْهُمْ
جِيلًا مِثَالِيًّا يَسْتَنْ بِسُنَنِ اللَّهِ، وَيَتَخَلَّقُ بِأَخْلَاقِ الرَّفْقِ، وَالْحَزْمِ،
وَالْتَّضَحِّيَّةِ، وَالْإِسْتِقَامَةِ، وَالْإِعْتِدَالِ، فَيَرْضَى بِهَا عَنْ رَبِّهِ،
وَيَرْضَى رَبُّهُ عَنْهُ، ثُمَّ مَاتَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَمَّا يَبْلُغُ مِنْ أُمَّتِهِ هَذِهِ
الْأُمْنِيَّةَ.

وَبَنَعَ فِي الصِّينِ حَكِيمُهَا الْأَعْظَمُ «كُونُغُ فُوْتْس» الَّذِي
عَرَفْنَاهُ مِنْ طَرِيقِ الْإِفْرَنْجِ بِاسْمِ «كُونُفُوْشْيُوس» (٤٧٩.٥٥٠ ق.م)،
وَلَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ الدُّعَاةِ إِلَى أَنْ يَتَعَاطَلَ النَّاسُ
بِالْمُرُوءَةِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَرْتَفِعْ بِدَعْوَتِهِ إِلَى تَخْلِيصِ الصِّينِ مِنْ عُبُودِيَّتِهَا
لِابْنِ السَّمَاءِ «الْإِمْبِرَاطُور»، وَلَمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ شَمْسٍ وَقَمَرٍ
وَكَوَاكِبَ وَسَحَابَ وَرُعُودٍ وَصَوَاعِقَ وَأَمْطَارٍ، وَلَا إِلَى
تَخْلِيصِهَا مِنْ عِبَادَةِ الْأَرْضِ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ جِبَالٍ وَبَحَارٍ
وَأَنْهَارٍ، وَلَا مِنْ أَرْوَاحِ الْآبَاءِ، وَمَا تُقِيمُهُ فِي سَبِيلِهِمْ مِنْ حُدُودٍ
وَسُدُودٍ وَقُيُودٍ.

وَقَدْ أَخْفَقَ «كُونْغُ فُونْس» فِي كُلِّ مَا قَامَ بِهِ مِنْ دَعْوَةٍ فِي
أَرْجَاءِ الصِّينِ، فَعَادَ إِلَى بَلَدِهِ يُؤَلِّفُ الصَّحَائِفَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى
الْمُرُوءَةِ، وَقَدْ رَأَيْنَا تَفْصِيلَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ «الْحَوَارِ»^(١)، ثُمَّ مَاتَ
وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْمُتَأَثِّرِينَ بِدَعْوَتِهِ إِلَّا عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنْ تَلَامِيذِهِ، وَبَقِيَتْ
الصِّينُ هِيَ الصِّينُ مِنْ ذَلِكَ الْحِينِ إِلَى الْآنَ ...

وَأَعْلَنَ حُكَمَاءُ الْيُونَانِ مَذَاهِبَهُمْ فِي الْحِكْمَةِ وَتَهْذِيبِ
النَّفْسِ، فَصَنَّفُوا فِي ذَلِكَ الْمَصَنَّفَاتِ، وَأَلْقَوْا بِهِ الْخُطْبَ.

وَقَدْ اشْتَطُوا^(٢) فِي كَثِيرٍ مِمَّا صَنَّفُوا وَخَطَّبُوا، وَكَتَابُ
«الْجُمْهُورِيَّةِ» لِأَفْلَاطُونٍ مِنْ أَبْرَزِ الْأَمْثَلَةِ عَلَى هَذَا الشَّطْطِ، ثُمَّ
انْقَضَى زَمَنُ حُكَمَاءِ الْيُونَانِ وَحِكْمَتُهُمْ، دُونَ أَنْ تَعْمَلَ شُعُوبُهُمْ
بِمَا دَعَوْهَا إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ الدَّعْوَةَ وَالْمَدْعُوِّينَ لِلْعَمَلِ بِهَا لَمْ يَكُونَا أَهْلًا
لِذَلِكَ.

(١) نقله إلى العربية السيد محمد مكين الصيني عن اللغة الصينية مباشرة باقتراح كاتب هذه

السطور ونشرته المطبعة السلفية. (س)

(٢) لم يقتصدوا ويعدلوا، بل جاوزوا القدر، وتباعدوا عن الحق، وهي مأخوذة من «الشَّطْطِ»

وهو: مجاوزة القدر في بيع، أو طلب، أو احتكام، أو غير ذلك من كل شيء. وانظر: «لسان

العرب» (١١٩/٧).

وَعَالَجَ الْمَسِيحُ ﷺ فِي فَلَسْطِينَ عُقُولَ مُوَاطِنِيهِ مِنَ الْعَامَّةِ
وَالْخَاصَّةِ مِمَّنْ كَانُوا يَقْصِدُونَ هَيْكَلَ أُورُشَلِيمَ^(١)، أَوْ يَتَسَلَّقُونَ
جَبَلَ الزَيْتُونِ، أَوْ يَتَرَدَّدُونَ عَلَى شَوَاطِئِ بُحَيْرَةِ طَبْرِيَا وَحُقُولِ
أَرْضِ الْجَلِيلِ وَحَدَائِقِهَا، فَلَمْ يَسْتَجِبْ لِدَعْوَتِهِ إِلَّا عَدَدٌ ضَعِيفٌ لَا
يَكَادُ يُسَمَّى جَمَاعَةً فَضْلاً عَنْ أَنْ يَكُونَ أُمَّةً.

إِنَّ الْإِنْسَانِيَّةَ مِنْ أَقْدَمِ أَزْمَانِهَا، وَفِي مُخْتَلَفِ أَوْطَانِهَا، لَمْ
تَشْهَدْ «الْجِيلَ الْمِثَالِيَّ» إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً حِينَ فُوجِئَتْ بِإِقْبَالِهِ مِنْ
صَحَارَى أَرْضِ الْعَرَبِ، يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ وَالْخَيْرِ بِالْقُوَّةِ وَالرَّحْمَةِ،

(١) قال الأزهري: الهيكل هو البناء المرتفع. «لسان العرب» (١١١/١٥).

ويقصد به مسجد بيت المقدس - الأقصى - الذي جدد بناءه سليمان بن داود ؛ كما جاء في
«مسند أحمد» (٦٦٤٤ ط: شاكر)، و«سنن النسائي» (٦٩٣)، و«سنن ابن ماجه» (١٤٠٨)
واللفظ له، و«صحيح ابن خزيمة» (١٣٣٤)، و«مستدرک الحاكم» (٤٣٤/٢) وقال:
«صحيح على شرطهما ولا علة له»، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» للإمام الألباني
(١١٧٨)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لما فرغ سليمان بن
داود - عليهما السلام - من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثاً: حكماً يصادف حكمه، وملكاً
لا ينبغي لأحد من بعده، وألاً يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من
ذنوبه كيوم ولدته أمه. فقال النبي ﷺ: أمّا اثنتان فقد أُعْطِيَهُمَا وأرجو أن يكون قد أُعْطِيَ
الثالثة».

فَكَانَ ذَلِكَ مُفَاجَأَةً عَجِيبَةً لِكُلِّ مَنْ شَهِدَ هَذَا الْحَادِثَ التَّارِيخِيَّ
الْفَدَّ؛ مِنْ رُومٍ، وَفُرسٍ، وَآرَامِيِّينَ، وَكَنْعَانِيِّينَ، وَعِبْرِيِّينَ،
وَمِصْرِيِّينَ، وَلِيبِيِّينَ، وَبَرْبَرٍ، وَفَانْدَالٍ، وَلَاتِينَ، وَتِيُوثُونَ،
وَسَكْسُونِيِّينَ، وَصَقْلِيِّينَ، وَغَيْرِهِمْ.

كَانَتْ الْمُفَاجَأَةُ عَجِيبَةً - يَمْصَدِرُهَا، وَكَيْفِيَّتُهَا، وَأَطْوَارُهَا -
ثُمَّ كَانَتْ عَجِيبَةً الْعَجَائِبِ بِنَتَائِجِهَا الَّتِي لَا تَزَالُ - إِلَى الْيَوْمِ - مِنْ
مُعْجَزَاتِ التَّارِيخِ.

أَيْنَ كَانَ هَؤُلَاءِ؟ وَكَيْفَ تَكُونُوا عَلَى حِينِ غَفَلَةٍ مِنَ الْأُمَمِ؟
وَمَا هَذِهِ الرِّسَالَةُ الَّتِي يَحْمِلُونَهَا؟ وَكَيْفَ نَجَحَتْ؟ وَمَا هِيَ
وَسَائِلُ نَجَاحِهَا؟^(١)

سَلْسَلَةٌ مِنَ الْأَسْئَلَةِ لَا يَكَادُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ بِأَوَّلِهَا حَتَّى
يُفَاجَأُوا بِمَا يُنْسِيهِمْ تَالِيَهُ أَوَّلُهُ. إِلَى أَنْ رَأَوْا مِنْ صِفَاتِ هَذِهِ الْأُمَّةِ
الْمِثَالِيَّةِ مَا أَيقَنُوا بِهِ أَنَّهَا تَحْمِلُ إِلَى الْإِنْسَانِيَّةِ رِسَالَةَ الْحَقِّ وَالْخَيْرِ،
وَأَنَّهَا تُتَرْجَمُ عَنْ رِسَالَتِهَا بِأَخْلَاقِهَا، وَسِيرَتِهَا وَأَعْمَالِهَا، وَأَنَّ

(١) ولكتاب هذه السطور مقال في وصف لمحات من أسرار هذه المعجزة نشر في صحيفة الفتح
بعنوان: «القرآن معجزة بين معجزتين». انظر الجزء ٨١١ لجمادى الأولى ١٣٦٣. (س)

الَّذِي اعْتَقَدْتُهُ وَتَخَلَّقْتُ بِهِ وَدَعَتِ الْأُمَمَ إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي
قَامَتْ بِهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ.

وَكَمَا تَسْأَلُ النَّاسُ عَنْ هَذِهِ الْعَجَائِبِ فِي زَمَنِ وَقُوعِهَا،
ثُمَّ أَنْسَاهُمْ بَعْضُهَا بَعْضًا، كَذَلِكَ نَحْنُ نَسْأَلُ الْيَوْمَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ
أَسْرَارِهَا، بِالرَّغْمِ مِنْ ضَيَاعِ الْعَدَدِ الْأَكْبَرِ مِنَ الْمَرَاجِعِ الْقَدِيمَةِ فِيمَا
احْتَرَقَ مَعَ بُيُوتِ الْفُسْطَاطِ وَمَدَارِسِهَا وَجَوَامِعِهَا مُدَّةَ أَرْبَعَةِ
وَحَمْسِينَ يَوْمًا^(١)، وَفِيمَا غَرِقَ بِمِيَاهِ دِجْلَةَ أَيَّامَ ابْنِ الْعَلْقَمِيِّ

(١) في سنة ٥٦٤. انظر ص ٦٢٨-٦٣١ من المجلد ٢٥ لمجلة الأزهر. (س)

جاء في «البداية والنهاية» (١٢/٧٧٢ ط: المعرفة) في حوادث سنة (٥٦٤) ما نصُّه:

« وفيها طغت الفرنج بالديار المصرية، وذلك أنهم جعلوا شاور شحنة لهم بها، وتحكموا في
أموالها ومساكنها أفواجاً أفواجاً، ولم يبق شيء من أن يستحذوا عليها ويخرجوا منها أهلها من
المسلمين، وقد سكنها أكثر شجعانهم، فلما سمع الفرنج بذلك جاؤوا إليها من كل فج وناحية،
صحبة ملك عسقلان في جحافل هائلة، فأول ما أخذوا مدينة بلبس، وقتلوا من أهلها خلقاً،
وأسروا آخرين، ونزلوا بها، وتركوا بها أثقالهم، وجعلوها موثلاً ومعقلاً لهم، ثم ساروا فنزلوا
على القاهرة من ناحية باب البرقية، فأمر الوزير شاور الناس أن يحرقوا مصر، وأن ينتقل الناس
منها إلى القاهرة، فنهبوا البلد وذهب للناس أموال كثيرة جداً، وبقيت النار تعمل في مصر أربعة
وخمسين يوماً، فعند ذلك أرسل صاحبها العاضد يستغيث بنور الدين، وبعث إليه بشعور نسائه
يقول: أدركني واستنقذ نسائي من أيدي الفرنج، والتزم له بثلاث خراج مصر على أن يكون أسد
الدين مقيماً بها عندهم، والتزم له بإقطاعات زائدة على الثلث، فشرع نور الدين في تجهيز
الجيوش إلى مصر، فلما استشعر الوزير شاور بوصول المسلمين أرسل إلى ملك الفرنج يقول: =

وَمُسْتَشَارِهِ ابْنَ أَبِي الْحَدِيدِ^(١)، وَفِيمَا خَسِرْنَاهُ بَضْيَاعَ الْأَنْدَلُسِ

= قد عرفت محبتي ومودتي لكم، ولكن العاصد والمسلمين لا يوافقوني على تسليم البلد، وصالحهم ليرجعوا عن البلد بألف ألف دينار، وعجل لهم من ذلك ثمان مئة ألف دينار، فانشمروا راجعين إلى بلادهم خوفاً من عساكر نور الدين، وطمعا في العودة إليها مرة ثانية، ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٤] اهـ.

(١) ابن العلقمي هو: مؤيد الدين محمد بن محمد بن علي بن أبي طالب بن العلقمي البغدادي الرافضي وزير المستعصم، استوزر أربع عشرة سنة، فأفشى الرفض، وكان ذا حقد وغل على أهل السنة، وكانت له اليد الطولى في سقوط بغداد دار الخلافة العباسية على يدي التتار سنة (٦٥٦)، هلك في أوائل سنة (٦٥٧). له ترجمة في «السير» للذهبي (٣٦١-٣٦٢)، و«العبر» (٢٨٤/٣ ط: العلمية)، و«فوات الوفيات» (٢٥٦/٢ ط: العلمية)، و«البداية والنهاية» (٢٤٩/١٣ ط: المعرفة).

وأما ابن أبي الحديد فهو: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين أبو حامد بن أبي الحديد عز الدين المدائني، الكاتب الشاعر المطبق الشيعي الغالي المعتزلي، له شرح نهج البلاغة في عشرين مجلداً، كانت له حظوة عند الوزير ابن العلقمي لتشييعه، توفي أواخر سنة (٦٥٦). له ترجمة في: «البداية والنهاية» (٢٣٥/١٣)، و«فوات الوفيات» (٦٠٩/١)، و«الأعلام» (٢٨٩/٣). وقد سطر الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢٣٥/١٣) نازلة سقوط بغداد ودور ابن العلقمي الرافضي الخبيث في ذلك مما يجعل القلب ينفطر لهول المصيبة التي حلت بأهل السنة بسبب الروافض أخزاهم الله، وما أشبه اليوم بالأمس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ثم دخلت سنة ست وخمسين وست مئة، فيها أخذت التتار بغداد، وقتلوا أكثر أهلها حتى الخليفة، وانقضت دولة بني العباس منها. استهلت هذه السنة وجنود التتار قد نازلت بغداد صحبة الأميرين اللذين على مقدمة عساكر سلطان التتار هولاءكو خان، وجاءت إليهم أمداد صاحب الموصل يساعدونهم على البغادة، وميرته وهداياه وتحفه، وكل ذلك خوفاً على نفسه من =

= التتار، ومصانعة لهم قبجهم الله - تعالى -، وقد سترت بغداد، ونصبت فيها المجانيق والعرادات وغيرها من آلات الممانعة، التي لا ترد من قدر الله - سبحانه وتعالى - شيئاً، كما ورد في الأثر: "لن يغني حذر عن قدر"، وكما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ [نوح: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَّالٍ ﴿١١١﴾ [الرعد: ١١١]. وأحاطت التتار بدار الخلافة يرشقونها بالنبال من كل جانب، حتى أصيبت جارية كانت تلعب بين يدي الخليفة وتضحكه، وكانت من جملة حظاياها، وكانت مولدة تسمى عرفة، جاءها سهم من بعض الشبابيك فقتلها وهي ترقص بين يدي الخليفة، فانزعج الخليفة من ذلك وفزع فزعاً شديداً، وأحضر السهم الذي أصابها بين يديه فإذا عليه مكتوب: إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره أذهب من ذوي العقول عقولهم. فأمر الخليفة عند ذلك بزيادة الاحتراز، وكثرت الستائر على دار الخلافة وكان قدوم هولاءكو خان بجنوده كلها - وكانوا نحو مئتي ألف مقاتل - إلى بغداد في ثاني عشر المحرم من هذه السنة، وهو شديد الحنق على الخليفة بسبب ما كان تقدم من الأمر الذي قدره الله وقضاه، وأنفذه وأمضاه، وهو أن هولاءكو لما كان أول بروزه من همدان متوجهاً إلى العراق، أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنية ليكون ذلك مداراة له عما يريده من قصد بلادهم، فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير أيبك وغيره، وقالوا إنَّ الوزير إنما يريد بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال، وأشاروا بأن يبعث بشيء يسير، فأرسل شيئاً من الهدايا، فاحتقرها هولاءكو خان، وأرسل إلى الخليفة يطلب منه دويداره المذكور، وسليمان شاه، فلم يبعثهما إليه ولا بالابه، حتى أزعج قدومه، ووصل بغداد بجنوده الكثيرة الكافرة الفاجرة الظالمة الغاشمة، ممن لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فأحاطوا ببغداد من ناحيتها الغربية والشرقية، وجيوش بغداد في غاية القلة ونهاية الذلة، لا يبلغون عشرة آلاف فارس، وهم وبقية الجيش، كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتهم حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد، وأنشد فيهم الشعراء قصائد يرثون لهم ويجزنون على الإسلام وأهله، وذلك كله عن آراء الوزير ابن العلقمي الرافضي، وذلك أنَّه لما كان في السنة الماضية كان بين أهل السنة والرافضة حرب عظيمة، نهبت فيها الكرخ ومحلة الرافضة، حتى =

= نهبت دور قرابات الوزير، فاشتد حنقه على ذلك، فكان هذا مما أهاجه على أن دبّر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع، الذي لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد، وإلى هذه الأوقات،

ولهذا كان أول من برز إلى التتار هو، فخرج بأهله وأصحابه وخدمه وحشمه، فاجتمع بالسلطان هولاكو خان - لعنه الله -، ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليه، والمثلول بين يديه؛ لتقع المصالحة، على أن يكون نصف خراج العراق لهم ونصفه للخليفة، فاحتاج الخليفة إلى أن خرج في سبعمائة راكب من القضاة، والفقهاء والصوفية، ورؤوس الأمراء والدولة والاعيان، فلما اقتربوا من منزل السلطان هولاكو خان حجبوا عن الخليفة إلا سبعة عشر نفساً، فخلص الخليفة بهؤلاء المذكورين، وأنزل الباقون عن مراكبهم، ونهبت وقتلوا عن آخرهم، وأحضر الخليفة بين يدي هولاكو، فسأله عن أشياء كثيرة، فيقال: إنه اضطرب كلام الخليفة من هول ما رأى من الإهانة والجبروت، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين الطوسي، والوزير ابن العلقمي وغيرهما، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة، فأحضر من دار الخلافة شيئاً كثيراً من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة، وقد أشار أولئك الملأ من الرافضة وغيرهم من المنافقين على هولاكو أن لا يصالح الخليفة، وقال الوزير متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر هذا إلا عاماً أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسّنوا له قتل الخليفة، فلما عاد الخليفة إلى السلطان هولاكو أمر بقتله، ويقال إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، والمولى نصير الدين الطوسي، وكان النصير عند هولاكو قد استصحبه في خدمته لما فتح قلاع الأملوت، وانتزعها من أيدي الإسماعيلية، وكان النصير وزيراً لشمس الشموس ولأبيه من قبله علاء الدين بن جلال الدين، وكانوا ينسبون إلى نزار بن المستنصر العبيدي، وانتخب هولاكو النصير ليكون في خدمته كالوزير المشير، فلما قدم هولاكو وتهيب من قتل الخليفة هوّن عليه الوزير ذلك فقتلوه رفساً، وهو في جوالق لثلاً يقع على الأرض شيء من دمه، خافوا أن يؤخذ بثأره فيما قيل لهم، وقيل: بل خنق، ويقال: بل أغرق فالله أعلم، فباؤوا بإثمهم وإثم من كان معه من سادات العلماء، والقضاة، والأكابر، والرؤساء، والأمراء، وأولي الحل والعقد ببلاده، ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول =

وَكَوَارِثِ الْحُرُوبِ الصَّلَيبِيَّةِ، وَفِيمَا فَرَّطْنَا بِهِ فِي أَزْمَانِ الْجَهْلِ

= والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش، وقنيّ الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون، وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات، ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر، وإما بالنار، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة، فيقتلونهم بالأسطحة، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فإننا لله وإنا إليه راجعون. وكذلك في المساجد والجوامع والربط، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم، وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي، وطائفة من التجار أخذوا لهم أماناً، بذلوا عليه أموالاً جزيلة، حتى سلموا وسلمت أموالهم. وعادت بغداد بعد ما كانت آنس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس، وهم في خوف وجوع وذلة وقلة، وكان الوزير ابن العلقمي قبل هذه الحادثة يجتهد في صرف الجيوش، وإسقاط اسمهم من الديوان، فكانت العساكر في آخر أيام المستنصر قريباً من مئة ألف مقاتل، منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى عشرة آلاف، ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهّل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعاً منه أن يزيل السنة بالكلية، وأن يظهر البدعة الرافضة، وأن يقيم خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتيين، والله غالب على أمره، وقد رد كيده في نحره، وأذله بعد العزة القعساء، وجعله حوشكاشاً للتتار بعد ما كان وزيراً للخلفاء، واكتسب إثم من قتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال، فالحكم لله العلي الكبير رب الأرض والسماء» ١.هـ

وَالْإِنْحِطَاطَ - بِالرَّغْمِ مِنْ كُلِّ هَذَا - فَإِنَّ النُّفُوسَ اسْتَيْقَظَتْ الْآنَ
لِدِرَاسَةِ أَحْوَالِ «الْجِيلِ الْمِثَالِيِّ» الْفَذِّ الَّذِي عَرَفَتْهُ الدُّنْيَا، وَلِنَقْدِ
الْأَصِيلِ وَالِدَّخِيلِ مِنْ أَخْبَارِهِ، وَتَحْلِيلِ عَنَاصِرِ الْخَيْرِ الَّتِي انْطَوَى
عَلَيْهَا، وَمَعْرِفَةِ الْأَسْبَابِ الَّتِي صَارَ بِهَا جَيْلاً مِثَالِيًّا؛ لِنَسْتَفِيدَ
الْإِنْسَانِيَّةَ مِنَ الْاِقْتِدَاءِ بِهِ، وَالتَّأْسِّي بِسُنَنِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ.

وَأَوَّلُ مَا نَعْلَمُهُ وَنُؤْمِنُ بِهِ مِنْ أَسْبَابِ الْكَمَالِ فِي هَذَا الْجِيلِ
الْمِثَالِيِّ أَنَّهُ تَلَقَّى تَرْبِيَّتَهُ عَلَى يَدِ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ، خَاتَمِ رُسُلِ
اللَّهِ، الْمُبْعُوثِ بِأَكْمَلِ رِسَالَاتِ اللَّهِ ﷺ. إِنَّ هَذَا السَّبَبَ فِي
طَلِيعَةِ أَسْبَابِ الْكَمَالِ لِهَذَا الْجِيلِ الْمِثَالِيِّ، لَا يَشْكُ فِي ذَلِكَ عَاقِلٌ
فَضْلاً عَنْ مُؤْمِنٍ، وَلَكِنْ يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَتَسَاءَلَ: أَلَمْ يَكُنْ
مُوسَى ﷺ أَحَدَ الْمُبْعُوثِينَ بِرِسَالَاتِ اللَّهِ؟ أَلَمْ يُتَحَ لِمُوسَى أَنْ
يُعَاشِرَ قَوْمَهُ فِي الْحِلِّ وَالتَّرْحَالِ مُعَاشَرَةَ تَرْبِيَّةٍ وَدَعْوَةٍ أَكْثَرَ مِنْ
أَرْبَعِينَ سَنَةً؟ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ جَاءَ فِي «سِفْرِ الْعَدَدِ» مِنَ التَّوْرَةِ
الْمَوْجُودَةِ الْآنَ فِي أَيْدِي قَوْمِهِ (١٤ : ٢٦-٢٧) مَا نَصُّهُ :

«وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: حَتَّى مَتَى أَغْفِرُ لِهَذِهِ
الْجَمَاعَةِ الشَّرِيرَةِ الْمُتَدَمِّرَةِ عَلَيَّ؟».

(٢٩) «فِي هَذَا الْقَفْرِ تَسْقُطُ جُشُكُمُ جَمِيعًا، الْمَعْدُودِينَ مِنْكُمْ حَسَبَ عَدَدِكُمْ، مِنْ ابْنِ عَشْرِينَ فَصَاعِدًا الَّذِينَ تَذَمَّرُوا عَلَيَّ».

أَيْنَ - مِنْ أَصْحَابِ مُوسَى هَؤُلَاءِ - أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِمَا صَلَاةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ - يَوْمَ سَارَ بِهِمْ إِلَى بَدْرِ وَهُمْ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَبِضْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا؛ لِيُنَاجِزُوا ثَلَاثَةَ أَضْعَافِهِمْ مِنْ أَهْلِ الرُّجُولَةِ وَالْحِمَاسَةِ وَالْبَأْسِ، فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِذِهِ الْقِلَّةِ الْقَلِيلَةَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَادِي ذِفْرَانَ^(١) أَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَ إِيْمَانَهُمْ، فَأَخْبَرَهُمْ عَنْ قُرَيْشٍ، وَاسْتَشَارَهُمْ فِي الْمَوْقِفِ، فَقَامَ الصَّدِيقُ الْأَعْظَمُ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَقَالَ وَأَحْسَنَ، ثُمَّ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ فَقَالَ وَأَحْسَنَ، ثُمَّ قَامَ فَارِسُهُمُ الْمَقْدَادِيُّ بْنُ عَمْرِو الْأَسْوَدُ الْكِنْدِيُّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى بَرَكِ الْغَمَادِ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ». فَقَالَ لَهُ

(١) وادٍ قرب المدينة سلكه النبي ﷺ في مسيره بأصحابه إلى بدر.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ». فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الْخَزَرَجِ وَأَقْوَى زَعِيمٍ فِي الْأَنْصَارِ: «وَاللَّهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟». قَالَ: «أَجَلٌ». قَالَ سَعْدُ: «فَقَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاقِفَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَاْمْضِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَا أَرَدْتَ فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضَّتْهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكَّرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا. إِنَّا لَصَبْرٌ فِي الْحَرْبِ، صُذُقٌ فِي الْبِقَاءِ، لَعَلَّ اللَّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ»^(١). وَقَدْ كَانَ عَمَلُهُمْ أَبَيْنَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَأَصْدَقَ.

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٢/٦١٤-٦١٥) عن ابن إسحاق قال: حدثني محمد بن مسلم الزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا، عن ابن عباس، فذكره. ومن طريق ابن إسحاق أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/٣٢). قلت: وهذا إسناد صحيح؛ محمد بن إسحاق إمام المغازي صدوق يدلّس لكنّه صرّح بالتحديث، ومحمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري فقيه حافظ متفق على جلالته وإتقانه، وعاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ثقة عالم بالمغازي. وانظر من «التقريب» التراجم: (٥٧٢٥)، و(٦٢٩٦)، و(٣٠٧١) ط: دار ابن حزم، تحقيق: محمد عوامة. =

هَكَذَا كَانُوا فِي مَوَاقِفِ الْبَأْسِ وَعِنْدَ الشَّدَائِدِ، وَرَأَيْنَاهُمْ
فِي تَحَرِّيِ الْحُقُوقِ، وَإِدْعَائِهِمْ لِلْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ فِي حَيَاتِهِمْ
السَّلَامِيَّةِ، كَمَا تَحَدَّثْتُ عَنْهُمْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِيمَا رَوَاهُ عَنْهَا
الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «مُسْنَدِهِ»، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ» قَالَتْ:

جَاءَ رَجُلَانِ يَخْتَصِمَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَوَارِيثَ قَدْ
دَرَسَتْ، لَيْسَ بَيْنَهُمَا بَيِّنَةٌ، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ
تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ
بَعْضٍ، وَإِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ
مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ؛ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ يَأْتِي
يَهَا أَسْطَافًا فِي عُنُقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فَبَكَى الرَّجُلَانِ، وَقَالَ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْهُمَا: «حَقِّي لِأَخِي!». فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا إِذْ
قُلْتُمَا ذَلِكَ؛ فَادْهَبَا فَاقْتَسِمَا ثُمَّ تَوَخَّيَا الْحَقَّ، ثُمَّ اسْتَهِمَا (أَيَّ

= قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢٧٨/٣): «هكذا رواه ابن إسحاق رحمته الله وله شواهد من

وجوه كثيرة، فمن ذلك ما رواه البخاري، والنسائي، وأحمد ...»

والحديث صححه الشيخ الألباني رحمته الله في التعليق على «فقه السيرة» لمحمد الغزالي ص (٢٢٣).

اعْمَلَا قُرْعَةً عَلَى الْقِسْمَيْنِ بَعْدَ قِسْمِهِمَا ، ثُمَّ لِيُحْلَلْ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْكُمَا صَاحِبَهُ»^(١).

وَهَذَانِ الرَّجُلَانِ الْمَثَالِيَانِ فِي الْإِيمَانِ بِالْحَقِّ لَا نَزَالُ إِلَى
الْآنَ نَجْهَلُ اسْمَيْهِمَا ؛ لِأَنَّهُمَا مِنْ عَامَّةِ الصَّحَابَةِ لَا مِنْ خَوَاصِّهِمْ
الْمُمْتَازِينَ بِالْفَضَائِلِ الْإِنْسَانِيَّةِ النَّادِرَةِ الْمِثَالِ ؛ كَالْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ

(١) ضعيف بهذا السياق. أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب الأقضية (٣٥٨٤)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» كتاب القضاء والشهادات (٦٠٠٤ ط: العلمية)، وأحمد في «المسند» (٢٦٥٩٦ ط: شاكر) من طريق أسامة بن زيد، عن عبد الله بن رافع، عن أم سلمة، فذكرت الحديث.

قال الإمام الألباني رحمته الله في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/٨١٧) تحت حديث (٤٥٥):
«وأسامة هذا هو الليثي لا العدوي، فالإسناد صحيح على شرط مسلم إن كان العدوي قد
حفظ، فإن في حفظه شيئاً، وقد قال في «التقريب»: «صدوق يهم». وأنت ترى أنه قد جاء =
بزيادات لم ترد في شيء من روايات الثقات، وذلك مما يجعلنا نتوقف عن الاحتجاج بما تفرد به
والله أعلم».

قلت: قد صحَّ الحديث بدون ذكر القصة في أوله، وبدون زيادة: «يَأْتِي بِهَا أَسْطَافاً فِي عُنُقِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ ...» الخ الحديث. أخرجه البخاري، ومسلم، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، وابن
حبان، والطحاوي في «شرح المعاني»، وأحمد، وأبو يعلى. وانظر «سلسلة الأحاديث الصحيحة»
للإمام الألباني رحمته الله حديث رقم: (٤٥٥).

بِالْجَنَّةِ^(١) وَطَبَقَتِهِمْ مِمَّنْ اخْتَصَّهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْمَكَانَةِ وَالْمَنَاقِبِ،
وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ فِي تَرْبِيَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ لِأَصْحَابِهِ عَلَى مَحَبَّةِ الْحَقِّ،
وَاسْتِجَابَةِ أَصْحَابِهِ لَهُ فِيمَا أَحَبَّ أَنْ يَكُونُوا عَلَيْهِ، قَدْ أَشَاعَتْ
هَذَا الْخُلُقَ فِي الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ مِنْ أَبْنَاءِ ذَلِكَ الْجِيلِ الْمِثَالِيِّ.
فَلَمَّا كَانَتْ خِلَافَةُ الصِّدِّيقِ الْأَعْظَمِ - رِضْوَانُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ -
نَاطَ مَنْصِبَ الْقَضَاءِ بِرَمَزِ الْعَدَالَةِ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ، وَهُوَ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ رضي الله عنه، فَكَانَتْ تَمُرُّ عَلَى عُمَرِ الْأَشْهُرُ وَلَا يَأْتِيهِ اثْنَانِ
يَتَفَاضِلَانِ عِنْدَهُ، وَأَيُّ حَاجَةٍ بِهِذِهِ الْأُمَّةِ الْمِثَالِيَّةِ إِلَى الْقَضَاءِ
وَالْمَحَاكِمِ وَهِيَ أُمَّةُ الْحَقِّ، وَمِنْ أَخْلَاقِهَا أَنْ تَتَحَرَّى الْحَقَّ
بِنَفْسِهَا فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى تَحْكِيمِ الْقَضَاءِ فِيهِ.

بَلْ إِنَّ الطَّبَقَةَ الدُّنْيَا فِي هَذَا الْجِيلِ - وَأَحْوَالُهَا وَأَخْلَاقُهَا
مَعْرُوفَةٌ فِي كُلِّ جِيلٍ وَقَبِيلٍ - وَهُمْ مِمَّنْ يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ فِي

(١) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ،
وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي
الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجُرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ».
أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الْمَنَاقِبِ (٣٧٤٧)، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٦٥٠)،
وَالْتِّرْمِذِيُّ (٣٧٤٨)، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ، وَصَحَّحَهُ الْإِمَامُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «تَخْرِيجِ الطَّحَاوِيَّةِ»
(٧٢٨)، وَانْظُرْ أَيْضاً «هُدَايَةُ الرِّوَاةِ» (٦٠٦٤).

الْعَادَةِ أَنْ يَغْلِبَهُمْ عَلَى إِرَادَتِهِمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَيَقْعُونَ فِي زَلَّةٍ
يَسْتَوْجِبُونَ عَلَيْهَا الْحَدَّ الشَّرْعِيَّ، فَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِ مَا وَقَعَ فِي
تَارِيخِ الْبَشَرِ أَنْ يَأْتِيَ مَنْ يَقَعُ فِي شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الزَّلَّةِ مِنْ أَهْلِ
تِلْكَ الطَّبَقَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَعْتَرِفَ بِزَلَّتِهِ، وَيُلِحَّ بِلَجَاجَةٍ^(١)
وَإِصْرَارٍ عَلَى طَلَبِ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ - وَفِي ذَلِكَ حَقُّهُ - ؛ لِيَنْطَهَرَ
مِمَّا دَنَسَهُ بِهِ الشَّيْطَانُ^(٢).

(١) بخصومة واستمرار على المعارضة.

(٢) أمثال ماعز والغامدية رضي الله عنهما عندما جاءا إلى رسول الله ﷺ وطلبا أن يطهرهما بالحد من وقوعهما في الزنا. فعن بريدة قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! طهرني، فقال: «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه»، قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء، فقال: يا رسول الله! طهرني، فقال رسول الله ﷺ «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه»، قال: = فرجع غير بعيد، ثم جاء، فقال: يا رسول الله! طهرني، فقال النبي ﷺ مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعة؛ قال له رسول الله: «فيم أطهرك؟» فقال: من الزنى، فسأل رسول الله ﷺ «أبوه جنون؟!»، فأخبر أنه ليس بمجنون، فقال: «أشرب خمراً؟»، فقام رجل فاستنكهه، فلم يجد منه ريح خمر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «أزנית؟!»، فقال: نعم، فأمر به فرُجم، فكان الناس فيه فرقتين؛ قائل يقول لقد هلك، لقد أحاطت به خطيئته، وقائل يقول ما توبة أفضل من توبة ماعز، أنه جاء إلى النبي ﷺ، فوضع يده في يده، ثم قال: اقتلني بالحجارة. قال: فلبشوا بذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله ﷺ وهم جلوس، فسلم ثم جلس، فقال: «استغفروا لماعز ابن مالك»، قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم»، قال: ثم جاءته امرأة من غامد - من الأزد - فقالت: يا رسول الله! طهرني، فقال: «ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه»، فقالت: أراك تريد أن تُرددني كما =

وَكَانَ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ إِذَا رَأَى هَذَا الْإِيْمَانَ الْعَجِيبَ فِي هَذِهِ
الطَّبَقَةِ مِنْ أَصْحَائِهِ الطَّيِّبِينَ يُحَاوِلُ جُهْدَهُ أَنْ يَذَرَأَ الْحَدَّ عَنْهُمْ يَكُلُّ
مَا يُحِيزُهُ الشَّرْعُ، فَيَأْبُونَ إِلَّا أَنْ يَتَعَجَّلُوا عُقُوبَةَ الدُّنْيَا لِيَتَّقُوا يَهَا
عُقُوبَةَ الْآخِرَةِ.

وَهَذِهِ الْمُلَاحَظَةُ عَنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ بِالدَّاتِ قَدْ سَبَقَ إِلَى التَّنْوِيهِ
وَالْتَحَدُّثِ عَنْهَا إِمَامٌ كَبِيرٌ مِنْ أَيْمَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ زَيْدِيَةِ الْيَمَنِ^(١)،

= رَدَّدَتْ مَا عَزَبَ مِنْ مَالِكٍ؟ قَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالَتْ: إِنَّهَا حَبَلِي مِنَ الزَّيْنِ، فَقَالَ: «أَنْتِ؟»،
قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهَا: «حَتَّى تَضْعِي مَا فِي بَطْنِكَ»، قَالَ: فَكَفَّلَهَا رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى
وَضَعَتْ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ الْغَامِدِيَّةَ، فَقَالَ: «إِذَا لَا نَرْجُمُهَا وَنَدَعُ وَلَدَهَا
صَغِيرًا لَيْسَ لَهُ مِنْ يَرْضَعُهُ»، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: إِلَيَّ رِضَاعُهُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: فَرَجَمَهَا.
أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ (١٦٩٥/٢٢).

(١) الزَيْدِيَّةُ إِحْدَى فِرْقِ الشَّيْعَةِ، وَتَنْتَسِبُ إِلَى زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (٨٠-١٢٢هـ)،
اتَّصَلَ بِوَأَصْلِ بْنِ عَطَاءٍ رَأْسَ الْمَعْتَزَلَةِ، وَبِأَبِي حَنِيفَةَ، فَأَخَذَ عَنْهُمَا، وَمِنْ هُنَا يَظْهَرُ تَأَثُّرُ الزَيْدِيَّةِ
بِشَكْلِ كَبِيرٍ بِأَصُولِ الْمَعْتَزَلَةِ الْفَاسِدَةِ، وَكَانَ يَرَى السَّيْفَ، وَخَرَجَ عَلَى خِلَافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
الْأُمَوِيِّ بِتَشْجِيعٍ مِنَ الشَّيْعَةِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمَّا سَأَلُوهُ مَاذَا يَقُولُ فِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ؟ قَالَ: لَا أَقُولُ فِيهِمَا
إِلَّا خَيْرًا... فَتَخَلَّوْا عَنْهُ، وَرَفُضُوهُ، فَقَالَ: رَفُضْتُمُونِي، فَسَمَوْا رَافِضَةً، وَبَقِيَ فِي شَرْدَمَةِ قَلِيلَةٍ
فَقَتَلَ. وَمَذْهَبُهُ فِي الشَّيْخِينَ لَا يُوَافِقُ أَهْلَ السَّنَةِ تَمَامًا؛ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ لَا يَسْبِهُمَا وَيَتَرْضَى عَنْهُمَا، إِلَّا
أَنَّهُ كَانَ يَقْدِّمُ عَلَيْهِمَا بِالْإِمَامَةِ، وَيَرَى صِحَّةَ خِلَافَتِهِمَا مِنْ بَابِ جَوَازِ خِلَافَةِ الْمَفْضُولِ بِوُجُودِ
الْفَاضِلِ. وَهُوَ لَمْ يَقُلْ بِعَصْمَةِ الْأَيْمَةِ، وَلَا بِالرَّجْعَةِ، وَلَا بِعَقِيدَةِ الْبِدْءِ عَلَى اللَّهِ، وَلَا بِالْمَهْدِيِّ
الْغَائِبِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي عَقِيدَةِ الرِّوَاغِضِ الْخَبِيثَةِ، لَكِنَّهُ وَافَقَ الْمَعْتَزَلَةَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَصُولِهِمْ =

وَهُوَ الْإِمَامُ الْمَنْصُورُ بِاللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ حَمَزَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ حَمَزَةَ،
الْمُتَوَفَّى بِلَدَةِ كَوْكَبَانَ بِالْيَمَنِ سَنَةَ (٦١٤)، نَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُ عَالِمُ
الزَّيْدِيَّةِ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ
الْمُرْتَضَى الْوَزِيرُ (٧٧٥-٨٤٠)^(١) فِي كِتَابِهِ «الرَّوْضُ الْبَاسِمُ»

= الفاسدة ومنها: أنَّ مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين. ونقل الأشعري في "مقالات
الإسلاميين" أنَّ فرق الزيدية مجمعة على تخليد مرتكب الكبيرة في النار كشأن المعتزلة والخوارج.
وبعد موت زيد افتقرت الزيدية إلى جارودية، ويعقوبية، وسليمانية، وبترية، وأشهر فرقهم
الجارودية، وهذه الفرق رافضية؛ قالت: بالرجعة، وعصمة الأئمة، ولعن الشيخين، وتكفير
الصحابه. وبذلك يُعلم أنَّ فرقة الزيدية ليست على ما كان عليه زيد بن علي - على ما كان عليه
من بعد عن السنة - بل ازداد انحرافهم حتى أصبحوا روافض.
وبذلك يعلم - أيضاً - أنَّ مقولة بعضهم - إجمالاً -: إنَّ الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى أهل السنة،
مجانبة للعدل والإنصاف والحقيقة. وانظر في ذلك: «فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام» للدكتور
غالب عواجي (١/٣٣٤-٣٤٣ ط: المكتبة العصرية الذهبيّة/جدة)، و«الفصل في الملل والأهواء
والنحل» لابن حزم (٢/٢٩٧ وما بعدها ط: ابن البيثم المصرية).

(١) محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين،
من آل الوزير: مجتهد باحث، من أعيان اليمن، له كتب نفائس في اتباع الكتاب والسنة مثل:
«العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم»، ومختصره: «الروض الباسم في الذب عن
سنة أبي القاسم»، و«إيثار الحق على الخلق في معرفة الله ومعرفة صفاته على مناهج الرسل
والسلف» وغيرها، والناظر في مصنفات هذا الإمام، فضلاً عما لقيه من علماء المذهب الزيدي
من محاربة وتضليل، في زمانه وبعد زمانه، يعلم يقيناً أنَّ نسبته إلى المذهب الزيدي - المنحرف عن
الكتاب والسنة - نسبة كاملة؛ أصولاً وفروعاً، مجانب للصواب، ولا تمتُّ إلى الحقيقة بصلة. =

(١/٥٦-٥٥) ^(١) ، فَذَكَرَ تِلْكَ الطَّبَقَةَ وَقَالَ : «إِنَّ أَكْثَرَهُمْ تَسَاهَلًا فِي أَمْرِ الدِّينِ مِمَّنْ يَتَجَاسَرُ عَلَى الْإِقْدَامِ عَلَى الْكِبَائِرِ لَا سِيَّمَا مَعْصِيَةَ الزَّنا... وَذَلِكَ دَلِيلُ خَفَةِ الْأَمَانَةِ وَنُقْصَانِ الدِّيَانَةِ، لَكِنَّا نَظَرْنَا فِي حَالِهِمْ فَوَجَدْنَاهُمْ فَعَلُوا مَا لَا يَفْعَلُهُ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ إِلَّا أَهْلُ الْوَرَعِ الشَّحِيحِ، وَالْخَوْفِ الْعَظِيمِ، وَمَنْ يُضْرَبُ بِصَلَاحِهِ الْمَثَلُ، وَيَتَقَرَّبُ بِحُبِّهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بَذَلُوا أَرْوَاحَهُمْ فِي مَرْضَاةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَيْسَ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ يَحِقُّ لَهُ مَنْصِبُ الْإِمَامَةِ فِي أَهْلِ التَّقْوَى وَالِدِّينِ» ١.هـ

أَيُّ أَنَّ طَبَقَةَ الدَّهْمَاءِ ^(٢) فِي ذَلِكَ الْجِيلِ الْمِثَالِيٍّ - مِمَّنْ قَدْ يَقْعُونَ فِي الْكِبَائِرِ - كَانَ لَهُمْ مِنْ صِدْقِ الْإِيمَانِ وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى الْحَقِّ مَا يَرْفَعُهُمْ إِلَى مَرْتَبَةٍ مَنْ يَحِقُّ لَهُ مَنْصِبُ الْإِمَامَةِ فِي أُمَّةِ أَهْلِ التَّقْوَى وَالِدِّينِ، فَكَيْفَ بِخَاصَّةِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ نَزَّهَهُمُ اللَّهُ

= له ترجمة في: «البدر الطالع» (٢/٨١-٩٣)، و«الضوء اللامع» (٦/٢٧٢)، و«الأعلام»

(٥/٣٠٠)، و«معجم المؤلفين» (٣/٣٦٥-٣٦٣) برقم (١١٥٠٣)، و«أبجد العلوم» (٨٦٧).

(١) طبعة دار المعرفة - بيروت، سنة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

(٢) عامة الناس، وسوادهم الأعظم.

وَعَنَّا عَنْ أَصْغَرِ الْهَفَوَاتِ، وَرَفَعَهُمْ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ؟! وَلَوْلَا
أَنَّ النُّبُوَّةَ خُتِمَتْ بِمُرَبِّيهِمْ وَهَادِيهِمْ إِلَى الْحَقِّ ﷺ لَمَا كَانَ مِثْلُ
أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ أَقَلَّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ سَلَفُوا فِي
الْأُمَمِ الْأُخْرَى.

وَإِنَّ هَذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ عَنِ الزُّنَاةِ مِنْ دَهْمَاءِ الصَّحَابَةِ
وَاسْتِحْقَاقِهِمْ لِمَنْصِبِ الْإِمَامَةِ إِمَامٌ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْبَيْتِ، يَعْنِي
مَا يَقُولُ، وَيَعْلَمُ مَعْنَى أَقْوَالِهِ، لَكِنَّهُ رَأَى هَذِهِ الطَّبَقَةَ فِي ذَلِكَ
«الْجِيلِ الْمِثَالِيِّ» قَدْ صَدَرَ عَنْهَا مِنْ صِدْقِ الْإِيمَانِ مَا لَمْ تَرُ أُمَّةً مِنْ
أُمَمِ الْأَرْضِ مِثْلَهُ، فَحَكَمَ بِعِلْمِهِ، وَكَانَ مُنْصِيفًا لِنَفْسِهِ، وَلِلْحَقِّ،
وَلِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ وَآثَارِهَا فِي أَهْلِهَا الْأَوَّلِينَ.

وَقَدْ عَلَّقَ عَلَى كَلَامِ الْإِمَامِ الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ عَلَامَةُ الزَّيْدِيَّةِ^(١)
السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْوَزِيرُ (١/٥٦-٥٧) مِنْ «الرَّوَضِ
الْبَاسِمِ» قَائِلًا يُخَاطِبُ قَارِئَ كِتَابِهِ: «فَأَخْبِرْنِي عَلَى الْإِنْصَافِ:
مَنْ فِي زَمَانِنَا - وَقَبْلَ زَمَانِنَا - مِنْ أَهْلِ الدِّيَانَةِ سَارَ إِلَى الْمَوْتِ
نَشِيطًا، وَأَتَى إِلَى وُلَاةِ الْأَمْرِ مُقِرًّا بِذَنْبِهِ مُشْتَقًّا إِلَى لِقَاءِ رَبِّهِ،

(١) انظر التعليق (١) ص (٤٧-٤٦)، والتعليق (١) ص (٤٧-٤٨).

بَازِلًا - فِي رِضَاءِ اللَّهِ - لِرُوحِهِ ، مُمَكِّنًا لِلْوَلَاةِ أَوْ الْقُضَاةِ مِنْ
الْحُكْمِ بِقَتْلِهِ؟! وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ تُنَبِّهُ الْغَافِلَ ، وَتُقَوِّي بَصِيرَةَ الْعَاقِلِ .
وَالْإِلَّا فَفِي قَوْلِ اللَّهِ - تَعَالَى - : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ آل
عمران: ١١٠ كِفَايَةُ وَغُنْيَةٌ ، مَعَ مَا عَضَدَهَا مِنْ شَهَادَةِ الْمُصْطَفَى
ﷺ بِأَنَّهُمْ «خَيْرُ الْقُرُونِ»^(١) وَيَأَنَّ غَيْرَهُمْ «لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ

(١) الحديث جاء بلفظ : « خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم إنَّ بعدهم
قوماً يشهدون ولا يُستشهدون ، ويخونون ولا يُؤتمنون ، وينذرون ولا يفون ، ويظهر فيهم السمنُ »
أخرجه البخاري (٣٦٥٠) ، ومسلم (٢١٤/٢٥٣٥) ، عن عمران بن حصين .
وفي رواية لمسلم (٢١٥/٢٥٣٥) : « وَيَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ » . وانظر - أيضاً - «السلسلة
الصحيحة» للإمام الألباني رحمه الله الأحاديث (١٨٣٩ - ١٨٤١) .
وبلفظ : «خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قومٌ ؛ تسبق شهادة
أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته» أخرجه البخاري (٢٦٥٢) ، ومسلم (٢١٢/٢٥٣٣) ، عن ابن
مسعود ، والترمذي (٣٨٥٩) في المناقب ، وابن ماجه (٢٣٦٢) في الأحكام .
وبلفظ : « أكرموا أصحابي ؛ فإنهم خياركم ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يظهر
الكذب... » الحديث . أخرجه النسائي في الكبرى (٩٢٢٢) ، وأحمد برقم (١١٤) ،
والحاكم (١١٤/١) ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بسند صححه الحافظ ابن حجر ، والألباني .
وانظر - أيضاً - «السلسلة الصحيحة» للإمام الألباني رحمه الله الأحاديث (٦٩٩-٧٠٠) و (٣٤٣١) ،
و«هداية الرواة» (٥٩٥٧) .

ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(١)، إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِنْ
مَنَاقِبِهِمُ الشَّرِيفَةِ، وَمَرَاتِبِهِمُ الْمُنِيفَةِ» اهـ.

وَنَعُودُ إِلَى الْمُقَارَنَةِ الْأُولَى بَيْنَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأُمَّةِ
مُوسَى ﷺ - وَكِلَاهُمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أُولِي الْعِزِّ - وَمُوسَى أُتِيحَ لَهُ
مِنَ الْوَقْتِ لِتَرْبِيَةِ أُمَّتِهِ ضِعْفَ الْوَقْتِ الَّذِي أُتِيحَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي
تَرْبِيَةِ أُمَّتِهِ، فَكَيْفَ نَالَتْ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ هَذِهِ الْمَكْرَمَةَ فَكَانَتْ
«الْجِيلَ الْمِثَالِيَّ» الَّذِي خَلَّدَهُ اللَّهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ فِي سُورَةِ
آلِ عِمْرَانَ (١١٠): ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، بَيْنَمَا الْجِيلُ
الَّذِي كَانَ مَعَ مُوسَى اسْتَحَقَّ أَنْ يُدْمَعَ بِمَا وَرَدَ فِي سِفْرِ الْعَدَدِ
(١٤ : ٢٦-٢٧ و ٢٩) كَمَا نَقَلْنَاهُ آتِفًا عَنِ التَّوْرَةِ الَّتِي يُطْبَعُ مِنْهَا فِي
كُلِّ سَنَةٍ مَلَائِينَ النُّسخِ بِكُلِّ اللُّغَاتِ؟

أَنَا فَكَّرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ كَثِيرًا مِنْ خَمْسِينَ سَنَةً إِلَى الْآنَ،
وَمِنْ ذَلِكَ الْحِينِ وَأَنَا أُرَاقِبُ كُلَّ مَا يَقَعُ عَلَيْهِ نَظْرِي مِنْ تَحْقِيقَاتِ
الْعُلَمَاءِ، وَخَطَرَاتِ أَفْكَارِهِمْ، لِأَصِلَ إِلَى حِكْمَةِ اللَّهِ فِي هَذَا

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣) في فضل أبي بكر ﷺ، ومسلم (٢٥٤١/٢٢٢)، والترمذي (٣٨٦١)
في المناقب، وأبو داود (٤٦٥٨)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٣٠٨)، وابن ماجه (١٦١) في
السنة.

الامْتِيازِ الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَهُمْ
«الْجِيلَ الْمَثَالِيَّ» الْوَحِيدَ الَّذِي عَرَفَهُ تَارِيخُ الْإِنْسَانِيَّةِ.

فَكَرَّتْ فِي مَعَادِنِ الْأُمَمِ، وَمَوَاهِبِهَا، وَسَجَايَاها، فَرَاقَبَتْهَا
جَمِيعاً وَهِيَ فِي بَدَاوَتِهَا - أَيُّ فِي مَادَّتِهَا الْخَامِ - قَبْلَ أَنْ تَطُرَّ
عَلَيْهَا الْحَضَارَاتُ، وَالْعُلُومُ الْمُكْتَسَبَةُ، وَالصَّنَاعَاتُ، وَالْأَنْظُمَةُ
الاجْتِمَاعِيَّةُ الَّتِي هِيَ مِنْ صُنْعِ التَّشْرِيعِ الْبَشَرِيِّ، فَتَبَيَّنَ لِي أَنَّ
الْأُمَّةَ الَّتِي مِنْهَا «الْجِيلُ الْمَثَالِيُّ» فِي الْإِسْلَامِ امْتَاَزَتْ فِي بَدَاوَتِهَا
عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ أُخْرَى فِي بَدَاوَتِهَا بِسَعَةِ الْمَدَارِكِ، وَنُضُوجِ الْعَقْلِ،
وَدِقَّةِ الْمَشَاعِرِ، وَجَوْدَةِ الْأَخْلَاقِ، وَأَنَّهَا امْتَاَزَتْ فِي بَدَاوَتِهَا بِلُغَةٍ
هِيَ أَرْقَى عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ كُلِّ لُغَةٍ أُخْرَى لِلْبَشَرِ فِي طَوْرِهِمْ
الْبَدَوِيِّ، وَكُلُّ رُقِيٍّ لَأَيِّ لُغَةٍ أُخْرَى غَيْرَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ هُوَ مِنْ أَثَرِ
الْحَضَارَةِ وَاتِّسَاعِهَا الْحَادِثِ فِي الصَّنَاعَاتِ، وَالْعُمُرَانِ،
وَالْفُنُونِ، وَالثَّرْوَةِ. وَلَوْ أَنَّ عَالِماً مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَاتِ أَمْسَكَ يَدِهِ
قَلَمًا بِالْمِدَادِ الْأَحْمَرِ، وَشَطَبَ بِهِ كُلَّ لَفْظَةٍ فِي الْمُعْجَمِ
الْأَلْمَانِيِّ، أَوْ الْإِنْجِلِيزِيِّ، أَوْ الْفَرَنْسِيِّ، يَرَى أَنَّهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ
الَّتِي حَدَثَتْ بَعْدَ التَّقَدُّمِ الصَّنَاعِيِّ، أَوْ الْعِلْمِيِّ، أَوْ الْاِقْتِصَادِيِّ،
أَوْ الْفَنِيِّ، وَلَمْ تَكُنْ لِلْأَلْمَانِ أَوْ الْإِنْكِلِيزِ أَوْ الْفَرَنْسِيِّينَ فِي

بَدَاوَتِهِمْ، لَمَّا بَقِيَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فِي أَكْبَرِ مَعَاجِمِهَا اللُّغَوِيَّةِ إِلَّا مَا يُعَادِلُ نِصْفَ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ لِسَانِ الْعَرَبِ الْعَشْرِينَ، إِنَّ لَمْ يَكُنْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ.

وَالْعَرَبُ لَمَّا اسْتَفْحَلَ مُلْكُهُمْ، وَصَارَتْ لَهُمْ جُيُوشٌ عَظِيمَةٌ، وَاصْطِلَاحَاتٌ عَسْكَرِيَّةٌ، وَإِدَارِيَّةٌ، وَفَلَسَفِيَّةٌ، وَعِلْمِيَّةٌ، وَصِنَاعِيَّةٌ، أَبِي عُلَمَاؤُهُمْ أَنْ يُقْحِمُوا عَلَى مَعَاجِمِهِمْ وَأَصْلَ لُغَتِهِمْ هَذِهِ الْاصْطِلَاحَاتُ الطَّارِئَةُ، فَأَلْفُوا كُتُبًا مُسْتَقِلَّةً لِلْاصْطِلَاحَاتِ، وَبَقِيَتْ مَعَاجِمُ اللُّغَةِ تُمَثِّلُ أَصْلَ اللُّغَةِ بِشَوَاهِدِهَا مِنْ شِعْرِ الْعَرَبِ وَحِكْمَتِهِمْ وَأَمْثَالِهِمْ فِي أَيَّامِ بَدَاوَتِهِمْ، فَهِيَ بُرْهَانٌ حَسِّيٌّ قَائِمٌ أَمَامَ الْأَنْظَارِ عَلَى مَا امْتَاَزَتْ بِهِ الْعَرَبِيَّةُ بَيْنَ جَمِيعِ اللُّغَاتِ الَّتِي نَطَقَ بِهَا الْبَشَرُ.

وَمِمَّا امْتَاَزَتْ بِهِ الْأُمَّةُ الَّتِي ظَهَرَ فِيهَا «الْجِيلُ الْمِثَالِيُّ» إِنْسَانِيَّتُهَا الْعُلْيَا فِي مُعَامَلَةِ الْغَيْرِ وَإِكْرَامِهِ بِالْأَمْنِ وَالْقَرَى. وَإِذَا اسْتَشْنَيْنَا مَا يَكُونُ فِي حَالَةِ الْحَرْبِ بَيْنَ الْقَبِيلَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعَرَبِ، فَإِنَّ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ مِنْ أَقْدَمِ أَزْمَانِهَا إِلَى هَذِهِ السَّاعَةِ أَعْظَمُ بِلَادِ اللَّهِ أَمْنًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، يَنْتَقِلُ فِيهَا مَنْ شَاءَ فَيَجِدُ لِنَفْسِهِ فُنْدُقًا مَجَانِيًّا عِنْدَ كُلِّ بَصِيصٍ نُورٍ يَعْشُو إِلَيْهِ فِي اللَّيْلِ، أَوْ

أَيَّ خَبَاءٍ يُلَوِّحُ لَهُ فِي النَّهَارِ، وَلَهُ حَقُّ الضِّيَافَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِلَا مَنْ عَلَيْهِ وَلَا فَضْلٍ لِمُضَيِّفِهِ^(١).

(١) جاء في الحديث : «... ومن نزل يقوم فعليهم أن يقرؤه ، فإن لم يقرؤه ، فله أن يعقبهم بمثل قرأه». أخرج أبو داود (٤٦٠٤ ، ٣٨٠٤) ، والدارمي (١١٤/١) ، وابن ماجه (١٢) ، والترمذي (٢٦٦٤) ، واحمد (١٣١/٤) ، عن المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه وهو في "السلسلة الصحيحة" للإمام الألباني رحمته الله (٢٨٧٠).

قال ابن الأثير في «النهاية» (٢٦٩/٣ ط : دار الفكر) : «أي يأخذ منهم عوضاً عما حرموه من القرى. وهذا في المضطر الذي لا يجد طعاماً ، ويخاف على نفسه التلف. يقال : عَقَبَهُمْ - مشدداً ومخففاً - وأعقبهم إذا أخذ منهم عُقْبَى وَعُقْبَةً ؛ وهو أن يأخذ منهم بدلاً عما فاته» اهـ . قلت : وكلام ابن الأثير رحمته الله في قصر التعقيب على المضطر يخالف الحديث السابق الذي لم يفرق بين مضطر وغيره ، فضلاً عن مخالفته لكثير من الأحاديث الصريحة الموجبة للضيافة ، وبعضها يحددها بأيام ثلاثة ؛ ومن ذلك :

- عن أبي شريح الكعبي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ؛ جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما بعد ذلك فهو صدقة ، ولا يحلُّ له أن يثوي عنده حتى يُحْرِجَهُ». رواه البخاري (٦١٣٥) ، ومسلم (١٧٢٧/١٧) ، وأبو داود (٣٧٤٨) ، والترمذي (١٩٦٧) ، وابن ماجه (٣٦٥٧).

قال الترمذي : «ومعنى قوله : «يثوي عنده» يعني الضيف لا يقيم عنده حتى يشتدَّ على صاحب المنزل ، والخرج هو الضيق ، إنما قوله : «حتى يخرجه» يقول : حتى يضيقَ عليه» اهـ .

قال النووي رحمته الله في «شرح صحيح مسلم» (٣٠٩/٦ ط : دار إحياء التراث) :

«قال العلماء : معناه الاهتمام به في اليوم والليلة وإتحافه بما يمكن من بر وإلطاف ، وأما في اليوم الثاني والثالث فيطعمه ما تيسر ، ولا يزيد على عادته ، وأما ما كان بعد الثلاثة فهو صدقة ومعروف إن شاء فعل ، وإن شاء ترك» اهـ . وانظر فتح الباري (٧٥٣/١٠ ط : مصر للطباعة) . =

وَمِنْ آدَابِ الضَّيْفَةِ عِنْدَهُمْ أَلَّا يَسْأَلُوا ضَيْفَهُمْ حَتَّى عَنْ
اسْمِهِ.

وَكَانَ عِنْدَهُمُ الْأَمْنُ الْمُطْلَقُ حَتَّى لِلْحَمَامِ وَالظُّبَاءِ وَسَائِرِ
الصَّيْدِ فِي دَاخِلِ أَعْلَامِ الْحَرَمِ فِي جَمِيعِ أَيَّامِ السَّنَةِ، وَلَوْ لَقِيَ
الرَّجُلُ قَاتِلَ أَبِيهِ فِي أَرْضِ الْحَرَمِ مَا كَانَ لَهُ أَنْ يُرَوِّعَهُ أَوْ يُزْعِجَهُ.
أَنَا مُقْتَنِعٌ كَمَا اخْتَارَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ لِأَكْمَلِ رِسَالَاتِهِ
وآخِرِهَا، اخْتَارَ كَذَلِكَ الْعَرَبِيَّةَ لِكِتَابِهِ الْحَكِيمِ؛ لِأَنَّهَا أَكْمَلُ
اللُّغَاتِ وَأَغْنَاهَا، وَاخْتَارَ أَيْضًا لِرَسُولِهِ أَصْدَقَ الْأُمَمِ، وَأَكْرَمَهَا
مَعْدِنًا^(١)، وَأَجْمَعَهَا لِلصِّفَاتِ الَّتِي تُكْمِلُ نَجَاحَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ،

= - وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إِنْ نَزَلْتُمْ بِقَوْمٍ فَأَمُّرُوا لَكُمْ بِمَا يَنْبَغِي لِلضَّيْفِ،
فَاقْبَلُوا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَخَذُّوا مِنْهُمْ حَقَّ الضَّيْفِ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُ». رواه البخاري (٢٤٦١)،
(٦١٣٧)، ومسلم (١٧/١٧٢٧)، وأبو داود (٣٧٥٢)، والترمذي (١٥٨٩)، وابن ماجه
(٣٦٧٦).

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛
فَلْيَكْرَمْ ضَيْفَهُ - قَالَهَا ثَلَاثًا -». قال رجل: وما كرامة الضيف يا رسول الله؟ قال: «ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا
زَادَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ» رواه أحمد (٧٦/٣)، وهو في «صحيح الترغيب والترهيب» للإمام
الألباني رحمته الله (٢٥٩٤).

(١) الْمَعْدِنُ: مَرْكَزُ كُلِّ شَيْءٍ.

وَتَقْوَىٰ بِهَا عَلَى حَمْلِ هَذِهِ الْأَمَانَةِ ، فَكَانَتْ بِهَا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ .

وَقَدْ دَعَتْ إِلَى الْإِسْلَامِ بِسِيرَتِهَا ، وَأَخْلَاقِهَا ، وَتَصَرُّفَاتِهَا ،
فَتَعَرَّفَتِ الْأُمَمُ إِلَى الرِّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بِمَا رَأَتْ الْعُيُونُ مِنْ سِيرَةِ
الصَّحَابَةِ ، أَكْثَرَ مِمَّا سَمِعَتْهُ الْأَذَانُ مِنْ بَيَانِهِمْ .

وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا اسْتَجَابُوا لِهَذِهِ الرِّسَالَةِ ،
وَتَشَرَّفُوا بِالدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ ، كَانُوا مُتَفَاوِتِينَ فِي مَبْلَغِهِمْ مِنْ
سَجَايَا أُمَّتِهِمْ ؛ فَبَعْضُهُمْ كَانَ أَسْرَعَ إدْرَاكًا مِنْ بَعْضٍ ، وَإِذَا امْتَنَزَ
أَحَدُهُمْ عَلَى أَخِيهِ بِنَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْخَيْرِ ، كَانَ لِأَخِيهِ نَاحِيَةٌ
أُخْرَى مِنَ الْخَيْرِ يَمْتَنِزُ بِهَا .

كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَسْبَقَ مِنْ عُمَرَ إِلَى إدْرَاكِ الْحَقِّ فِي دَعْوَةِ
الْإِسْلَامِ ، لَكِنَّ عُمَرَ حَتَّى فِي أَشَدِّ عَصَبِيَّتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ - يَوْمَ
بَلَّغَهُ إِسْلَامُ أُخْتِهِ وَابْنِ عَمِّهِ وَجَاءَ لِيَبْطِشَ بِهِمَا - طَرَقَتْ سَمْعُهُ
صِيحَةً مِنْ صِيحَاتِ الْحَقِّ الَّتِي يَهْتَفُ بِهَا الْإِسْلَامُ ، فَبَرَدَتْ
عَصَبِيَّتُهُ ، وَتَغَلَّبَ نُزُوعُهُ لِلْحَقِّ عَلَى نُزُوعِهِ لِنُصْرَةِ الْإِلْفِ ، فَكَانَ

- فِي خِلَالِ دَقِيقَتَيْنِ اِثْنَتَيْنِ - مِنْ أَكْرَمِ أَنْصَارِ الْحَقِّ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ
أَسْرَعَ الْبَشْرِ إِلَى الْاسْتِجَابَةِ لِنِدَاءِ الْحَقِّ^(١).

(١) قصة عمر رضي الله عنه مع أخته فاطمة بنت الخطاب وما روي فيها من لطمه لها لإسلامها، وضربه
لزوجه سعيد بن زيد، وقرائته لآيات من سورة طه، وأن ذلك كان سبباً في إسلامه، لم تثبت
بطريق صحيح؛ أخرجها ابن سعد في «الطبقات» (٣/١٤٢ ط: دار إحياء التراث)، والبيهقي في
«السنن الكبرى» كتاب الطهارة، باب: نهى الجنب عن قراءة القرآن (١/١٥٢-١٥٣ ط: دار
الفكر)، وفي «دلائل النبوة» (٢/٢١٩ ط: العلمية، تحقيق: قلنجي)، والدارقطني في «سننه»،
كتاب الطهارة، باب: نهى المحدث عن مس المصحف، (١/٣٠٢-٣٠٣ ط: دار المعرفة). من طريق
إسحاق بن يوسف الأزرق عن القاسم بن عثمان البصري عن أنس رضي الله عنه به.

والقاسم بن عثمان هذا ضعفه الدارقطني وقال: «ليس بالقوي».

وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٣/٣٧٥ ط: دار الفكر):

«قال البخاري: له أحاديث لا يتابع عليها. قلت: حدث عنه إسحاق الأزرق بمتن محفوظ، وبقصة
إسلام عمر؛ وهي منكورة جداً»

وروى القصة أيضاً البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/٢١٦)، والبزار في «مسنده» كما في «مجمع
الزوائد» للهيتمي (٩/٦٤ ط: العلمية)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/٣٢٠-٣٢٢ ط: دار
المعرفة)، من طرق عن إسحاق بن إبراهيم الحنيني، عن أسامة بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن
جده، به. وهذا إسناد ضعيف آفته أسامة بن زيد والحنيني؛ كلاهما ضعيف كما في «التقريب»
برقم (٣٣٧، ٣١٥).

وروى القصة ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (١/٣٤٣-٣٤٦ ط: المكتبة العلمية/بيروت)،
ومن طريقه البيهقي في «الخلافيات» (١/٥١٦-٥١٧ ط: دار الصميعي، تحقيق: الشيخ مشهور)،
وهو منقطع؛ فإن ابن إسحاق أرسله، وهو من بلاغاته، إضافة إلى تدليسه، ولم يصرح بالسماع.

وَحَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ كَانَ شَابًّا مِنْ أَبْنَاءِ الْأَعْيَانِ مِنْ رُؤَسَاءِ
قُرَيْشٍ، سَكِرَ بِخَمْرَةٍ النَّصْرِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي أُحُدٍ، وَعَادَ إِلَى
مَكَّةَ نَشْوَانَ يَهَا، لَكِنَّ الْحَقُّ الَّذِي كَانَ الْإِسْلَامُ يَهْتَفُ بِهِ كَانَ
يَطْرُقُ مَسَامِعَ خَالِدٍ، فَتَأَمَّلَ فِيهِ فَوَجَدَهُ حَقًّا، فَتَرَكَ ثُرُوءَهُ أَيْدِيهِ
وَجَاهَهُ وَمَرَبُطَ خَيْلِهِ الْوَاسِعَ فِي مَكَّةَ، وَخَرَجَ قَاصِدًا إِلَى
الْمَدِينَةِ؛ لِيَدْخُلَ فِي دِينِ الَّذِينَ حَارَبَهُمْ وَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ، فَلَقِيَ
فِي طَرِيقِهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَحَامِلَ مِفْتَاحِ الْكَعْبَةِ^(١)، وَعَلِمَ
أَنَّهَا مِثْلُهُ قَدْ تَبَيَّنَ لَهُمَا الْحَقُّ، وَخَرَجَا فِي طَلَبِهِ وَالْإِلْتِحَاقِ
بِأَهْلِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ عِنْدَ بُلُوغِهِمْ
الْمَدِينَةَ: «رَمَتُكُمْ مَكَّةُ بِأَفْلَازٍ أَكْبَادِهَا»^(٢).

مِثْلُ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ كَثِيرَةٌ جِدًّا فِي «الْجِيلِ الْمِثَالِيِّ» الَّذِي
صَنَعَ مِنْهُ مُحَمَّدٌ ﷺ أَصْحَابَهُ، وَلَكِنَّا قَلَّمَا نَجِدُ ذَلِكَ شَائِعًا فِي
الْأُمَّمِ الْأُخْرَى. إِنَّ الْخَيْرَ نَعَمٌ مَوْجُودٌ فِي كُلِّ الْأُمَّمِ وَلَكِنْ لَا إِلَى

(١) عثمان بن طلحة بن أبي طلحة العبدري. كما في «أسد الغابة» (٩٨/٢) ط: المعرفة.

(٢) ذكره ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١٩/١٦) تحقيق: علي شيري، وابن الأثير في «أسد

الغابة» (٩٨/٢) ط: المعرفة، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤٢٨/٢)، ولم يسندوه.

الْحَدِّ الَّذِي يَقُومُ بِهِ الْجَيْلُ الْعَالِيُّ، وَلِذَلِكَ كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»
(الكتاب ٦١- الباب الأول) مِنْ حَدِيثِ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ خِيَارِهِمْ فِي
الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا»^(١).

وَمِمَّا لَاشْكَ فِيهِ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا عَلَى وَثْنِيَّةٍ، وَلَكِنْ مَنْ
مِنَ الْأُمَمِ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ مِنْ أَهْلِ الْوَثْنِيَّةِ بِمُخْتَلَفٍ
مَعَانِيهَا؟ إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا أَحَدَتْ الْأُمَمِ فِي وَثْنِيَّتِهِمْ؛ لِأَنَّهَا
طَرَأَتْ عَلَيْهِمْ قُبَيْلَ الْإِسْلَامِ بِمِائَاتٍ قَلِيلَةٍ مِنَ السِّنِّ عَلَى يَدِ
عَمْرِو بْنِ لُحَيٍّ الْخَزَاعِيِّ^(٢) فِي خَبَرٍ طَوِيلٍ لَا يَتَّسِعُ الْمَقَامُ
لِلْإِفَاضَةِ فِيهِ.

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٩٩١/٢) كتاب الكلام (٥٦)، باب ما جاء في إضاعة المال وذي
الوجهين (٨)، حديث (٢١)، والبخاري (٣٤٩٣)، ومسلم (٢٥٢٦)، وأبو داود (٤٨٧٢)،
والترمذي (٢٠٢٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرج البخاري (٣٥٢١) وعلقه جزماً، ومسلم (٢٨٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ
قال: «رأيت عمرو بن عامر بن لُحَيٍّ الخزاعي يجرُّ قصبه في النار، وكان أول من سبَّ السوائب»
وأخرج أحمد في «مسنده» (٤٤٦/١)، وهو في «السلسلة الصحيحة» للإمام الألباني (١٦٧٧) =

وَكَانَتْ الْعَرَبُ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْحَنِيفِيَّةِ ؛ دِينَ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ ، وَبَنُو إِسْمَاعِيلَ انْتَشَرُوا مِنْ مَكَّةَ وَتَوَطَّنُوا فِي جَمِيعِ
الْبِقَاعِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ إِلَى أَسْوَارِ مَدِينَةِ دِمَشْقَ.

وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ كَانُوا عَلَى دِينِ شُعَيْبٍ ، وَقَدْ تَرَكَ التَّارِيخُ
لَنَا نَصُوصًا فِي هَذَا الْمَعْنَى . وَهَذِهِ الْوَكْنِيَّةُ الطَّارِئَةُ عَلَى الْعَرَبِ لَمْ
يَكُنْ لَهَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْهَيَاكِلِ وَالسَّدَنَةِ وَالتَّهَاوِيلِ مَا يُضَارِعُ الَّذِي
لَهَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ ، فَكَانُوا أَقْرَبَ أُمَّمِ الْأَرْضِ إِلَى دِينِ الْفِطْرَةِ ،
وَبِذَلِكَ اسْتَحَقُّوا ثَنَاءَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِيمَا جَاءَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ :
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ
وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ
لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عِمْيَانًا ۚ
إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝﴾ [البقرة: ١٤٣] ، وَمَا جَاءَ فِي

= عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَابِ وَعَبَدَ الْأَصْنَامَ
أَبُو خَزَاعَةَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ وَإِنِّي رَأَيْتُهُ يَجْرُ أَمْعَاءَهُ فِي النَّارِ»

سُورَةُ الْاَنْفَالِ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، وما جاء في سورة التوبة:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ

بِإِحْسَنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

نَقَلَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْإِصَابَةِ (٣/٢ طبعة السلطان عبد الحميد) عَنْ

الزُّبَيْرِ بْنِ بَكَّارٍ «أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: مَا أَبْطَأَ بِكَ عَنْ

الْإِسْلَامِ وَأَنْتَ أَنْتَ فِي عَقْلِكَ؟ قَالَ: إِنَّا كُنَّا مَعَ قَوْمٍ لَهُمْ عَلَيْنَا

تَقْدُّمٌ - يَعْنِي أَبَاهُ وَمَنْ هُمْ فِي طَبَقَتِهِ - وَكَانُوا مِمَّنْ تُوَاذِي حُلُومُهُمْ

الْجِبَالَ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ، قَلَدْنَاهُمْ، فَلَمَّا

ذَهَبُوا وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَيْنَا نَظَرْنَا وَتَدَبَّرْنَا، فَإِذَا حَقُّ بَيْنٍ، فَوَقَعَ فِي

قَلْبِي الْإِسْلَامُ، فَعَرَفْتُ قُرَيْشُ ذَلِكَ مِنِّي، مِنْ إِبْطَائِي عَمَّا كُنْتُ

أُسْرِعُ فِيهِ مِنْ عَوْنِهِمْ عَلَيْهِ، فَبَعَثُوا إِلَيَّ فَتَى مِنْهُمْ، فَنَاطَرَنِي فِي

ذَلِكَ، فَقُلْتُ:

أَنْشُدُكَ اللَّهَ رَبَّكَ وَرَبَّ مَنْ قَبْلَكَ وَمَنْ بَعْدَكَ: أَنْحُنْ أَهْدَى أَمْ

فَارِسُ وَالرُّومُ؟

قال: نَحْنُ أَهْدَى - يَعْنِي الصِّدْقَ وَالْعَدَالَهَ وَالْأَمَانَةَ وَالتَّعَاوُنَ
الْمَحْمُودَ..

قُلْتُ: فَنَحْنُ أَوْسَعُ عَيْشًا أَمْ هُمْ؟
قال: هُمْ.

قُلْتُ: فَمَا يَنْفَعُنَا فَضْلُنَا عَلَيْهِمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَنَا فَضْلٌ إِلَّا فِي
الدُّنْيَا، وَهُمْ أَعْظَمُ مِنَّا فِيهَا أَمْرًا فِي كُلِّ شَيْءٍ؟ وَقَدْ وَقَعَ فِي
نَفْسِي أَنَّ الَّذِي يَقُولُهُ مُحَمَّدٌ - مِنْ أَنَّ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ لِيُجْزَى
الْمُحْسِنُ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءُ بِإِسَاءَتِهِ - حَقٌّ، وَلَا خَيْرَ فِي التَّمَادِي
فِي الْبَاطِلِ^(١).

إِنَّ الْمُسْلِمِينَ - بَلِ الْإِنْسَانِيَةَ كُلَّهَا - أَشَدُّ مَا يَكُونُونَ الْيَوْمَ
حَاجَةً إِلَى مَعْرِفَةِ فَضَائِلِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَرَمِ
مَعْدِنِهِمْ، وَأَثَرِ تَرْبِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ
عُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي صَارُوا بِهَا «الْجِيلَ الْمِثَالِيَّ» الْفَدَّ فِي تَارِيخِ
الْبَشَرِ.

وَشَبَابُ الْإِسْلَامِ مَعْدُورٌ إِذَا لَمْ يُحْسَنِ التَّأْسِي بِالْجِيلِ
الْمِثَالِيِّ فِي الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ أَخْبَارَ أَوْلَيْكَ الْأَخْيَارِ قَدْ طَرَأَ عَلَيْهَا

(١) «الإصابة في تمييز الصحابة» (٤/ ٥٣٨ ط: دار الكتب العلمية)

مِنَ التَّحْرِيفِ، وَالْأَغْرَاضِ، وَالْبُتْرِ، وَالزِّيَادَةِ، وَسُوءِ التَّأْوِيلِ،
فِي قُلُوبِ شُحْنَتِ بِالْغُلِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الْأَوَّلِينَ، فَأَنْكَرْتُ عَلَيْهِمْ
حَتَّى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ! وَقَدْ أَصْبَحَ مِنَ الْفَرْضِ الدِّينِيِّ، وَالْقَوْمِيِّ،
وَالْوَطَنِيِّ، عَلَى كُلِّ مَنْ يَسْتَطِيعُ تَصْحِيحَ تَارِيخِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ
أَنْ يَعْتَبِرَ ذَلِكَ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ، وَأَنْ يُبَادِرَ لَهُ، وَيَجْتَهِدَ فِيهِ مَا
اسْتَطَاعَ، إِلَى أَنْ يَكُونَ أَمَامَ شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ مِثَالُ صَالِحٍ مِنْ
سَلَفِهِمْ يَقْتَدُونَ بِهِ، وَيُجَدِّدُونَ عَهْدَهُ، وَيُصْلِحُونَ سِيرَتَهُمْ
بِصَلَاحِ سِيرَتِهِ.

وَهَذِهِ الْمَعَانِي تَحْتَاجُ إِلَى دِرَاسَاتٍ عِلْمِيَّةٍ عَمِيقَةٍ؛ لِيَتَبَيَّنَ
لَنَا سِرُّ اللَّهِ فِي تَكْوِينِ هَذَا «الْجِيلِ الْمِثَالِيِّ» عَلَى يَدِ حَامِلِ أَكْمَلِ
رِسَالَاتِ اللَّهِ.

وَأِنْ فَصْلًا كَهَذَا أَضِيقُ مِنْ أَنْ يُلَمَّ - وَلَوْ بِإِشَارَاتٍ قَصِيرَةٍ
وَلَمَحَاتٍ سَرِيعَةٍ - بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَعَانِي الَّتِي تَخْطُرُ عَلَى الْبَالِ فِي
أَثْنَاءِ الْمُطَالَعَاتِ وَالتَّفَكِيرِ، وَنَحْنُ نَكْتَفِي بِتَسْجِيلِهَا؛ لِيَتَّخِذَ مِنْهَا
أَذْكِيَاءُ الطَّلَبَةِ وَالشُّبَّانِ مَوَاضِعَ لِلدِّرَاسَةِ وَالتَّمَحِيصِ، وَاللَّهُ
الْمَوْفَّقُ.